استراتيجيات تصميم المباني المستحدثة المقامة داخل السياقات ذات القيمة التاريخية

د. محمد أحمد رزق علي الشربيني
مدرس بقسم الهندسة المعمارية – كلية الهندسة بشبرا – جامعة بنها
arch.sherbiny@gmail.com

الملخص

يناقش هذا البحث إشكالية تصميم المباني الجديدة الواقعة ضمن سياق ذي قيمة تاريخية. على اعتبار أن خصوصية المحيط تفرض على هذه المواقع تعاملًا خاصًا على المستوى التصميمي، وتتطلب الالتزام بضوابط ومعايير معينة لضمان الحفاظ على الطابع التراثي المتجانس للسياق وحماية الروح المتفردة للمكان من أي تدخلات غير مدروسة يمكن أن تهدده أو تسبب تنافرًا بصريًا فيه أو تنتقص من قيمته ومميزاته. ويهدف البحث إلى استخلاص الاستراتيجيات التصميمية المناسبة التي يمكن انتهاجها في تلك المناطق. وقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي من خلال تتبع آراء المنظرين والباحثين السابقين في هذا الصدد، وكذلك النصوص المتعلقة بالموضوع في المواثيق والاتفاقيات الدولية وفي ضوابط بعض المدن التاريخية العالمية، لاستخلاص القواعد المشتركة والمبادئ المتفق عليها وكذلك وجهات النظر المُختلف فيها، وذلك للاعتماد عليها في التحليل المقارن لطائفة مختارة من المشروعات العالمية المتنوعة المقامة داخل سياقات تاريخية مختلفة، بغرض التوصل إلى تصنيف للاستراتيجيات التصميمية المناسبة لتلك الأماكن، وتحديد الحالات الملائمة لاستعمالها وضوابط استخدامها.

الكلمات المفتاحية: الحفاظ على المناطق التاريخية - سياسة ملء الفراغات - التصميم في إطار المحيط - البناء في المناطق التراثية - الطابع المعماري والعمراني - التوافق مع السياق العمراني - الضوابط والاشتراطات العمرانية.

Design Strategies of New Buildings Erected Within Historic Contexts

Abstract

This research discusses the design approaches of new buildings constructed in historic districts. The new interventions in those places may threaten their distinguished characters if they were not carefully designed. Therefore, design within these sensitive contexts requires special criteria to ensure the protection of their visual consistency and urban advantages. The research aims at indicating the suitable design strategies for these places through both theoretical and analytical approaches. The theoretical approach tries to conclude the main principles of designing in those areas by studying the international charters related to this issue and the different opinions of urban theorists and researchers about it, as well as discussing the guidelines of some historic districts in America and Europe to derive the mutual concepts and basic standards of building in such districts. The analytical approach depends on these results to analyse selected projects built within various historic contexts and adopting different design approaches. A comparative analysis is performed to deduce a classification of the design strategies suitable for historic contexts as well as the guidelines and appropriate uses of each strategy.

Key Words: Conservation of Historic places – Infill Design – Contextual Design – Building in Heritage Areas – Architectural and Urban Character – Compatibility with the Urban Context - Urban Regulations and Standards.

مقدمة

تتبارى دول العالم في الحفاظ على مناطقها التاريخية، وتبذل لأجل ذلك جهودًا مضنية لحمايتها وضمان المظهر اللائق لها باعتبارها من أهم المقومات التي تمنح البلاد تفردها وجاذبيتها. لكن مع تضاعف حجم السكان وتزايد احتياجاتهم المادية وتعقد متطلبات العصر تصاعدت وتيرة التنمية العمرانية بشكل متسارع، وأخذت المباني الجديدة تزاحم المباني التاريخية، بل وتحل محلها أحيانًا كما حدث في مصر (الشربيني، ٢٠١٨)، غير عابئة بما تشكله من تهديد خطير للطابع البصري للمناطق التراثية بشقيه المعماري والعمراني. ويُقصَد بالطابع المعماري حصيلة صفات التشكيل الخارجي السائدة في تكوين واجهات المباني على المستوى المنفرد، وهي تشمل كلًا من خط البناء والارتفاع والمقياس والنسب والتشكيل والتفاصيل ومواد البناء والملمس والألوان والمسامية ونسب الفتحات والإيقاعات الرأسية والأفقية. أما الطابع العمراني فيُقصد به حصيلة صفات التشكيل الخارجي السائدة في تكوين مجموعات المباني والفراغات العمرانية والمحيط الطبيعي على مستوى العلاقات التجميعية فيما بينها (بشندي، ١٩٨٤). وكما هو واضح فإن هذه الصفات السائدة والعلاقات التجميعية مهددة بأن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تختل وتتمزق في المناطق التراثية عند إقامة منشأ جديد داخلها بتصميم لا يراعيها أو يعيرها الاهتمام الكافي. لذا كان من الضروري مناقشة هذا الموضوع من مختلف جوانبه لحماية تلك المناطق من الإفساد.

١ المشكلة البحثية

تعتبر الأراضي الواقعة في نطاق المباني التاريخية من أكثر الأماكن حساسية عند البناء فيها، وتتطلب تعاملًا حذرًا ومدروسًا والتزامًا بضوابط ومعايير تصميمية خاصة. فالتهاون في مراقبة وتنظيم الأنشطة البنائية في تلك الأماكن قد يفتح الباب أمام التدخلات المعمارية غير اللائقة، والاجتهادات الفردية غير الواعية، والممارسات العشوائية غير المكترثة بخصوصية المحيط، مما يتسبب في تشويه طابع المناطق التاريخية ويقطع تجانسها ويشوش على ملامحها المميزة ويهدر قيمتها. وعلى الجانب المقابل فإن التشدد المبالغ فيه في وضع اشتراطات تحدد الطرز والمفردات المسموح باستخدامها قد يقيد الإبداع المعماري ويوقع المصممين في فخ التقليد والتكرار للمباني التاريخية، مما يقود إلى الرتابة والنمطية وخلط الأصلي والثمين بالمستنسخ والمقلّد. الأمر الذي يستلزم دراسة القضية من مختلف جوانبها لتحديد الطرق الملائمة للتعامل مع تلك السياقات.

٢ الهدف من البحث

حظيت قضية البحث باهتمام المهتمين بالحفاظ والجهات المعنية بالتراث المعماري حول العالم، ويُطلق عليها في مجال الحفاظ (سياسة ملء الفراغات Infill Design)، وهدفها المحافظة على تجانس طابع المناطق التراثية وحمايته من التنافر والتشويش من خلال وضع ضوابط للبناء في المواقع الخالية الموجودة بها أو المتخلفة عن انهيار أحد منشآتها (مسوح، ٢٠١٦). واستكمالًا لهذه المساعي يركز هذا البحث على دراسة ملامح اللغة المعمارية والمعالجات التشكيلية والتكوينية المناسبة لمثل هذه الحالات، بغرض تحديد الاستراتيجيات التصميمية الأنسب لهذه المباني ومؤشرات أو ضوابط كل استراتيجية منها بما يضمن المحافظة على خصائص ومميزات سياقها التاريخي ولا يحد في نفس الوقت من الإبداع.

٣ فرضية البحث

يقوم البحث على فرضية أن تحقيق التوافق المأمول بين المنشأ الجديد وسياقه التاريخي لا يعني بالضرورة النقل من الطرز أو المفردات التاريخية المستخدمة بالمباني المجاورة، فهذا لا يضمن دائمًا حلًا ناجحًا للمشكلة، بل قد يأتي بنتائج سلبية أحيانًا، وأن هناك حلولًا معمارية مختلفة واستراتيجيات متنوعة يمكن أن تعطي نتائج مناسبة بل وأفضل في بعض الحالات، وأن اختيار الاستراتيجية التصميمية الملائمة لتلك الأماكن وصياغة الضوابط المناسبة لها يتوقف في المقام الأول على خصائص الفراغات والمباني التاريخية المحيطة وعلاقة موقع البناء الجديد بها، أي أنها ليست ثابتة أو موحدة بل تتغير بتغير تلك العوامل.

٤ منهجية البحث

تعتمد الدراسة على المنهج الاستقرائي عن طريق تحليل البنود المتعلقة بالموضوع في المواثيق الدولية، وكذلك آراء المنظرين والباحثين، والاشتراطات التصميمية لمدن تاريخية عالمية، لاستخلاص الأسس المشتركة فيما بينها والاستعانة بها في التحليل المقارن لمجموعة من المشروعات العالمية المشابهة للوقوف على الأفكار المتنوعة التي أنتجتها قرائح المعماريين، لصياغة وتصنيف الاستراتيجيات التصميمية واستعمالاتها الملائمة.

٥ البناء المستحدث في المناطق التاريخية في المواثيق والاتفاقيات الدولية

أكدت توصيات مؤتمر اليونسكو (UNESCO, 1976) على أن خطر التدمير المباشر للمناطق التاريخية يقترن بخطر آخر غير مباشر وهو تشويه طابعها بما يُقام حولها من أحياء جديدة. لذلك على المعماريين والمخططين الحرص على صون طابع المناطق التاريخية مع إدماجها في الحياة المعاصرة على نحو متناغم، وعليهم العناية بتنظيم إنشاء المباني الجديدة حتى تندمج معها بشكل ملائم، اعتمادًا على تحليل السياق الحضري التاريخي قبل التصميم، لتحديد سماته السائدة والتعامل معها، لأن أي تدخل غير مدروس قد ينعكس بالسلب على تناسق المنطقة ككل. أما ميثاق بورا فقد نص على أن مفهوم الحفاظ يتطلب توفير نسق بصري ملائم للمواقع التاريخية، وعدم السماح بإقامة منشأ جديد أو إقحام عناصر دخيلة تؤثر سلباً عليه (Australia ICOMOS, 2013). ويشير ميثاق واشنطن إلى أن استعمال مفردات معاصرة في المبنى الجديد ليس مرفوضًا بشرط أن تتوافق مع المحيط التاريخي وتسهم في إثرائه بصريًا (ICOMOS, 1987). كما أوصت ندوة "العمارة المعاصرة وسط المباني القديمة" (ICOMOS, 1972) بضرورة تجنّب المحاكاة التامة للمباني التاريخية حتى لا تضر بأصالتها وقيمتها، باعتبار أن العمارة لا بد أن تعبر عن عصرها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦ آراء الباحثين والمنظرين في تصميم المباني الجديدة بالمناطق التراثية

قدم عدد من الكتاب والباحثين عددًا من الأطروحات الهامة المتعلقة بالموضوع، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

٦/١ روي وورسكيت Roy Worskett

في كتابه عن طابع المدن أطلق (Worskett, 1970) على الصفات التي تضمن تجانس الطابع اسم "ضوابط مظهر العمران Townscape Discipline"؛ وهي تُستقرأ من الشخصية المحلية للنطاق، وتمثل قواعد عامة للتحكم في تشكيله البصري وضمان تجانس طابعه، خصوصًا عند تعرضه لضغوط تغيير كالتي تقع عند إنشاء مباني مستحدثة داخل سياق تراثي. وتشمل هذه الضوابط كلًا من خط البناء وعرض الوحدة والتفاصيل ومواد البناء واللون والملمس والارتفاع وخط السماء ونسبة المفتوح للمصمت. و لعلاج مشكلة عدم الانسجام بين المباني الجديدة والقديمة اقترح Worskett استخدام حواجز بصرية للفصل بينها وتغيير فكرة الشارع المستمر إلى فراغات حركة متتابعة. وهي فكرة ترتبط بأطروحة (Cullen, 1971) عن المتتابعة البصرية، أي المشاهد المتتالية التي يراها الإنسان أثناء حركته داخل العمران، حيث يرى Cullen أن تنوع المشاهد المتتابعة أو ما أطلق عليه "دراما التجاور مع الاختلاف Drama of Juxtaposition" هو الذي يعمل على إثراء خبرات الناس وتقوية إدراكهم للعمران. وأنه برغم أن كثير من المناطق تتألف من خليط متنوع من المباني ذات الطرز المختلفة، إلا أن التخلص من هذا الخليط تمامًا وإعادة بناء المدينة طبقًا لقواعد التماثل والتوحيد لن يجعل عمرانها أجمل بالضرورة بل على العكس قد يجعله مملًا وخامدًا، لأن التنوع هو الذي يمنح العمران حيويته. لكن يؤكد (Couch, 1990) أن التنوع المقصود هنا (أي المقبول) هو الذي يقع ضمن حدود سماحية متفق عليها وليس بشكل مطلق. بمعنى أنه يمكن السماح ببعض التنوع ولكن في إطار عام من الوحدة ووفقًا لضوابط عامة منظمة، بحيث إذا اختلف المبنى الجديد في سمات محدودة لكن التزم بالباقي فإنه يظل متوافقًا مع المكان.

٦/٢ برنت برولين Brent Brolin

في تناوله لأزمة البناء الجديد بالمناطق التراثية انتقد (Brolin, 1980) عمارة الحداثة مؤكدًا أنها السبب في تجاهل المباني الحداثية لمحيطها التاريخي، لأنها نادت بالقطيعة مع الماضي والتخلي عن الطرز التاريخية وإنكار الزخارف والإعراض عن التراث، لإنتاج عمارة جديدة عالمية تعبر عن روح العصر وتطوراته، وتكون صالحة لكل مكان بصرف النظر عن روابطه التاريخية، من خلال تفضيل الكتل البسيطة والمجردة، والأشكال الصريحة والخطوط المستقيمة، والتكرارية النمطية، والتعبير الصادق عن مواد البناء والنظام الإنشائي، والاهتمام بالوظيفية واستعراض الشخصية الفردية للمعماري (Daglioglu, 2015). لهذا رأى Brolin صعوبة دمج المبنى الحداثي ضمن المحتوى التاريخي، مشبّهًا ذلك بمزج الزيت بالماء، ونادى بإعطاء الأولوية للاستجابة لروح المكان عند التصميم أكثر من الاستجابة للرغبة في التعبير عن روح العصر

وقد قام (Brolin, 1980) بمناقشة عدد من الأمثلة المعمارية التي تمثل حالات متنوعة للتجاور، بادئًا بأمثلة ناجحة لتجانس المباني القديمة مع المباني الأقدم، ثم أمثلة متفاوتة النجاح لتجاور المباني الجديدة مع المباني الجديدة، أو تجاورها مع المباني التاريخية والمعالم الأثرية. وقد قسم السمات التي تحقق تجانس الطابع إلى فئتين: الأولى هي السمات العامة كخط البناء والارتداد والفراغات البينية والارتفاع ومواد البناء والألوان والمقياس والأشكال ونسب الواجهات واتجاهها ومواقع الفتحات وحجمها ونسبها، أما الفئة الثانية فترتبط بالتفاصيل والزخارف من حيث أشكالها وأسلوب توزيعها وكثافتها ونحو ذلك من الخصائص.

وقد اقترح Brolin توجهين تصميميين للمباني المستحدثة داخل محيط تاريخي: الأول يحقق ارتباطًا وثيقًا بالمحيط عن طريق الاستلهام من اللغة المعمارية السائدة بالمباني المجاورة واستقاء المفردات منها، لكنه حذر من المبالغة في الالتزام بذلك لتجنب الإملال. والتوجه الثاني يحقق ارتباطًا مرنًا بالمحيط عن طريق مزج القديم بالحديث، وابتكار تكوينات مستوحاة من المفردات التاريخية، وإعادة صياغتها بصورة حديثة. وهي نفس أفكار الاتجاه التاريخي لعمارة ما بعد الحداثة، وإن كان Brolin قد وجه نقدًا لبعض أعمال هذا الاتجاه باعتبار أنها لا تعير محيطها الاحترام الكافي مثل الحداثة على عكس ما ينادي به منظرو الاتجاه. أما بالنسبة للتباين مع المحيط فإن برولين لا يرفضه تمامًا، وإنما يرى أنه يمكن قبوله ولكن في حالات معينة فقط وليس دائمًا، حتى لا يحدث تمزق لطابع المكان. وذلك عندما يكون الغرض مثلًا إضفاء بعض التنوع على الصورة البصرية للمنطقة، أو لإبراز وتأكيد المبنى التاريخي من خلال تصميم المبنى الجديد كخلفية تتباين معه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦/٣ تينر أو سي وتيم هيث وستيف تيسدال Taner Oc, Tim Heath and Steve Tiesdell

أكد هذا الفريق في دراسته (Oc, Heath & Tiesdell, 2010) على أهمية أن يحترم المبنى الجديد سمات كلٍّ من الطابع الفراغي والطابع البصري لمحيطه. ويشمل الطابع الفراغي للمحيط خصائص الفراغات من حيث أنواعها ونسبها وأحجامها، وعلاقتها بالمباني من حيث مواضعها وكتلها وارتفاعاتها ودورها في تعريف الفراغات وتحديد حيازتها واحتوائيتها وسماتها البصرية، وتأثير كل ذلك على موقع البناء المُستحدث من حيث درجة تعريضه ووضوح رؤيته وتنوع مظهره من مختلف الزوايا ومدى صلاحيته كعلامة مميزة. أما الطابع البصري فيرتبط بمعالجات واجهات المباني نفسها من حيث طرزها ومفرداتها، وتقسيماتها الرأسية والأفقية، ودرجة ثرائها البصري، ومواد بنائها وألوانها وملمسها، ومدى تجانسها أو تنوعها.

وقد طرح الفريق ثلاثة توجهات لتصميم المبنى الجديد: الأول هو التجانس Matching بالاستعارة المباشرة من مفردات المحيط. لكنهم يرون أن المبالغة في تحقيق التجانس قد تقيد الإبداع ولا تضمن تصميمًا جيدًا بالضرورة، بل قد تقود إلى الاستنساخ السطحي الرديء أو التقليد الزائف الرخيص لعمارة الماضي الذي يهدد أصالة المباني القديمة الحقيقية ويشوش عليها. أما التوجه الثاني فيهدف للتباين Contrast أو التجاور مع التمايز Juxtaposition، باعتبار أن تنوع وتمازج المشاهد العمرانية هو الذي يثري خبرات المستعملين ويزيد استمتاعهم. غير أنهم يؤكدون أن التباين يُقبل فقط بقدر معين على مستوى سمات الطابع البصري، أما الطابع الفراغي فينبغي عدم التباين معه إلا في نطاق محدود للغاية حتى لا يفسد الطابع. وأما التوجه الثالث فهو وسط بين الإثنين، حيث يسعى لتقديم رؤية أو صياغة معاصرة Interpretation لمفردات المحيط التاريخي، تضمن التفاعل والتوافق مع سماته وفي نفس الوقت تتسم بالحداثة والابتكار.

٦/٤ ستيفن سيمز Steven W. Semes

اقترح (Semes, 2007) أربع استراتيجيات لتصميم المباني المستحدثة داخل سياق تاريخي، وهي: الاستنساخ الحرفي Literal Replication، والابتكار في إطار الطراز Invention within a Style، وتجريد المرجعية التاريخية Abstract Reference، والتباين المتعمد Intentional Opposition. وبالنسبة لاستراتيجية الاستنساخ الحرفي فهدفها تحقيق التجانس مع المباني التاريخية المجاورة عن طريق التقليد المباشر لمفرداتها. وبرغم ميل Semes لهذه الاستراتيجية إلا أنه أشار لوجود اعتراضات عليها من متخصصين وهيئات رسمية، لأنها قد تعطي مظهرًا تاريخيًا زائفًا ربما يشوش على إدراك العامة وقدرتهم على التمييز بين الأصلي والمقلد. لكن Semes يتحفظ على هذه الاعتراضات معتبرًا أن التقليد قد يكون هو الأقرب لتحقيق التجانس، خصوصًا إذا كان حجم البناء الجديد محدودًا مقارنةً بسياقه، وكان طابع هذا السياق شديد التناغم والانسجام. وحينها يمكن تمييز زمن البناء عن طريق نقش أو لافتة مثلًا.

أما استراتيجية الابتكار في إطار الطراز فهي لا تستنسخ الطراز التاريخي وإنما تعيد صياغته بأسلوب مبتكر وتقدم تنويعات عليه وتضيف عناصر جديدة إليه، بحيث تراعى روح المكان لكن مع تحقيق قدر من التمايز للمبنى الجديد. وبالنسبة لاستراتيجية تجريد المرجعية التاريخية فهي تهدف لاتخاذ المحيط التاريخي كمرجعية للتصميم الجديد، لكن مع تجريد مفرداته وتبسيطها، بتقليل كثافة التفاصيل والزخارف أو إزالتها، والاكتفاء باحترام الملامح العامة كالمقياس والارتفاعات والتقسيمات الرأسية والأفقية والإيقاعات والنسب ونحو ذلك. بحيث يكون التصميم له روح معاصرة لكنه مُشتق من أصل تاريخي، فيحقق بذلك تمايزًا للمبنى الجديد في إطار من التوافق مع المحيط. لكن المبالغة في التجريد قد تقود إلى تباين غير مقصود.

وأما استراتيجية التباين المتعمد فتهدف لتحقيق التضاد بين المبنى الجديد ومحيطه التاريخي. وبرغم أن هذا الإجراء بالغ الحساسية لما قد يسببه من تنافر بصري، إلا أن له مؤيدوه الذين يبررون تفضيلهم لاستعمال الطرز الحديثة في تلك الأماكن من منطلق أن العمارة ينبغي أن تعبر عن عصرها، وتعكس التطورات الفكرية والتقنية له. وعمارة الماضي هي صنيعة عالم قد انتهى، أو "تحفة فنية مكانها المتحف" على حد وصف Semes لرأي المؤيدين. وبالتالي فإن تقليدها في المبنى الجديد سيعطيه مظهرًا تاريخيًا غير حقيقي، قد يشوش على إدراك العامة لما هو قديم أصلي وما هو معاصر يلبث ثوب القديم، وقد يصيب العمران بحالة من التكرارية والنمطية والافتقار للتنوع. كذلك يمكن لهذه الاستراتيجية أن تكون مقبولة إذا كان طابع المحيط أصلًا غير متجانس بسبب التدخلات العديدة التي تعرض لها. لكن ينبغي أن يكون الهدف حينئذٍ علاج الخلل في هذا السياق، واستغلال التباين في تنشيط المنطقة وإحيائها وليس انتهاكها والانتقاص من قيمتها.

على أن Semes لا يميل للتباين ويفضل عليه الأساليب التوافقية التي تناسب أهداف الحفاظ أكثر. أما بالنسبة لمسألة تعبير العمارة عن زمنها، فإن العمارة المعاصرة ليست فقط حداثة وتكنولوجيا فائقة، بل إن من تياراتها ما يقوم على إحياء عمارة الماضي وإعادة تقديمها بصورة حديثة، قاصدًا بذلك عمارة ما بعد الحداثة، التي تسعى لإيجاد لغة معمارية ذات شفرة مزدوجة تمزج بين الماضي والحاضر (Jencks, 1988).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويؤكد Semes أن أهم معيار لقياس نجاح التصميم الجديد هو مدى إسهامه في "دعم وتحسين" طابع سياقه التاريخي بصرف النظر عن الطراز. وأن التصميم الذي ينتقص من مميزات السياق غير مقبول مهما كان الطراز. والتوافق مع المحيط لا يشترط محاكاته في كل السمات، وإنما يكفي التناغم مع المبادئ العامة السائدة فيه. وهذا واقع بالفعل في كثير من المناطق التاريخية التي تظهر متناسقة رغم اختلاف طرزها. لذلك ينصح Semes المصممين أن يتجاوزوا رغبتهم في البحث عن لغة معمارية تعكس تطورات عصرهم إلى البحث عن لغة تلائم السياق؛ أي تقديم روح المكان Sense of Place على روح العصر Sense of Time.

٧ أمثلة لضوابط التصميم المستحدث في المناطق التاريخية ببعض المدن الغربية

فيما يلي تلخيص لأهم الضوابط التصميمية للبناء المستحدث داخل بعض المناطق التاريخية في كل من الولايات المتحدة بأمريكا والمملكة المتحدة بأوروبا، وذلك للوقوف على المبادئ المشتركة فيما بينها.

٧/١ الولايات المتحدة الأمريكية USA

اهتمت العديد من الهيئات المعنية بالتراث في الولايات المتحدة بوضع اشتراطات وأدلة إرشادية لتصميم المباني الجديدة داخل السياقات التراثية. ومن أبرزها اللجنة المسئولة عن ولاية فيلاديلفيا، والتي أصدرت دليلًا لهذا الغرض نصت فيه على ضرورة توافق المنشأ الجديد مع محيطه التاريخي في المقياس واللون والمواد والارتداد والارتفاع ومستوى الأسقف والكرانيش وشكلها وإيقاع توزيع الفتحات وأحجامها ونسبها ووضعياتها (Preservation Alliance [PAGP], 2007). ومع ذلك فقد سمح الدليل ببعض المرونة والاختلاف بشرط ألا يؤدي إلى تنافر جذري مع الطابع السائد. بل وصل الدليل إلى حد تشجيع التوجهات المعاصرة في التصميم، مؤكدًا أنه من الأفضل للمنشأ الجديد أن يعكس عصره على أن يعطي انطباعًا تاريخيًا زائفًا، بشرط أن يتوافق مع محيطه. والتوافق المقصود هنا Compatibility ليس مرادفًا للتجانس Harmony بل أعم منه، حيث لا يشترط التشابه مع المحيط، وإنما فقط التناسق العام مع ملامحه الرئيسية.

أما الدليل الإرشادي لحي Queen Village التاريخي فهو يحدد بالأرقام الارتفاع الأقصى للمباني الجديدة وارتداداتها وميول أسقفها وعروض واجهاتها وتقسيمات الباكيات والبارز والغاطس والنسب المئوية للفتحات والتفاوتات المسموح بها في كل ذلك. وقد فرض الطابع المتجانس للمنطقة إلى جانب ندرتها هذه الصيغة الحازمة المحددة للضوابط. وبالنسبة لحي Rittenhouse Fitler فقد تم تقسيمه إلى عدة مناطق لكل منها طابعه الخاص، ووضعت لكل منطقة الشروط التي تناسبها. وهي نقطة هامة لأن الأحياء الكبيرة لا تتألف دائمًا من طراز واحد، بل تحتوي على مناطق متنوعة، وهو ما يعني أن توحيد الشروط غير ملائم. وقد ركزت الشروط على ضرورة تحقيق التوافق على مستوى السمات المعمارية والعمرانية المذكورة آنفًا. وأوصت في إحدى المناطق بتقسيم واجهة المبنى إلى ثلاثة أجزاء (قاعدة وبدن وقمة ذات كورنيش) مثلما هو السائد في المكان، مع مراعاة النسب بينها، والاهتمام بوجود زخارف ومواد وألوان معينة، وتجنب عمل مسطحات كبيرة مصمتة أو عاكسة في الواجهات حتى لا تكون مميزة أكثر من اللازم (PAGP, 2007).

كذلك وضعت مدينة Milford بولاية Connecticut ضوابط مشابهة لقلبها التاريخي تهدف لتحقيق التجانس مع المحيط على مستوى السمات السائدة (مسوح، ٢٠١٦). وبالمثل مدينة Oregon لكنها سمحت بإمكانية أن يتبنى المبنى الجديد أي طراز من الطرز التاريخية الموجودة بالمنطقة (وليس فقط طراز المباني المجاورة)، وذلك لأن المنطقة تتألف من مبانٍ متنوعة الطرز وهذا النص يلائمها أكثر. كما أوصت بألا تكون التقنيات الحديثة ظاهرة للعيان. أما رابطة الحفاظ بولاية فيلاديلفيا (PAGP, 2007) فقد شكلت لجنة لدراسة الأمر أوصت بضرورة تحقيق التوافق مع المحيط. لكنها أقرت أن الاشتراطات على أهميتها ربما تشكل قيودًا على حرية المعماري في اقتراح حلول قد تكون أكثر إبداعًا وملاءمة. كما أكدوا على أهمية التشاور بين المعماري والأطراف المعنية بالمجتمع في القرارات التصميمية لضمان تحقيق أفضل النتائج. وبالنسبة للاتجاهات الملائمة فقد مال معظم الأعضاء إلى أن تجريد المفردات التاريخية هو الأنسب لأنه يجمع بين التجانس والتمايز، واختلفوا على التباين بين رافض له وموافق على استخدامه ولكن في حالات معينة.

وقد وضعت اللجنة دليلًا إرشاديًا مقسمًا إلى جزئين: الأول يهدف إلى تعيين الأساس الموضوعي لصياغة الضوابط، والذي يعتمد على تحليل المنطقة التاريخية لتحديد ما إذا كانت ذات طابع متجانس أو بها مناطق أصغر لكل منها طابعه أو تتألف من مبانٍ متنوعة، ثم وضع الاشتراطات الملائمة لكل حالة، مع تحديد هامش مرونة يسمح ببعض الاختلافات المقبولة. وقد نوّه الدليل على أهمية تعيين المعالم التاريخية المميزة بالمنطقة لوضع الشروط التي تكفل احترامها. أما الجزء الثاني فيشمل المعايير التصميمية المُقترحة، وهي تدور حول نفس النقاط السابقة، حيث توصي بتوافق التصميم الجديد مع محيطه على مستوى حجم وشكل الكتلة وارتدادها عن الشارع ونسبة عرض الواجهة لارتفاعها والتقسيمات الأفقية والرأسية ومستوى الكرانيش والأفاريز

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والبارز والغاطس وشكل الفتحات ونسبها وتوزيعها ومواد البناء وألوانها وملمسها، مع التحلّي بقدر من المرونة عند تطبيق كل ذلك. وفي حالة الرغبة في التمايز فلابد أن يكون ذلك بشكل وجيه وذي مغزى Meaningful Juxtapositions. كذلك توصي المعايير بالانسجام مع الارتفاعات المحيطة، وإذا لم يكن هناك مفر من الزيادة فيجب أن تكون محدودة ويتم الارتداد بها للخلف حتى لا تُرى من الشارع. كذلك يمكن السماح بالزيادة للمباني الركنية التي تقع على نواصي لتعمل كعلامات مميزة (PAGP, 2007).

٧/٢ المملكة المتحدة UK

نص المرسوم التخطيطي للمملكة المتحدة (UK Planning Act, 1990) على تعيين الأماكن ذات القيمة كمناطق حفاظ، بحيث يشترط لأي تدخل جديد فيها أن "يحفظ ويحسن" طابعها. وتشكل هاتان الكلمتان المبدأ العام لقبول أي تنمية مستحدثة بهذه المناطق في بريطانيا. فمثلًا يشترط الدليل الإرشادي لويستمنستر (Westminster City Council, 1996) عند الرغبة في إزالة مبنى لتشييد آخر مكانه تحديد تأثير المبنى الأول على الطابع، فإن كان محدود القيمة أو يتنافر مع سياقه فيُسمح بإزالته والبناء مكانه بشرط مراعاة السياق باعتبارها فرصة لعلاج عيوب المنطقة. وهذا لا يعني أن يتحول إلى نسخة مكررة من المباني المجاورة، وإنما تُفضّل الإبداعات الجديدة التي تحترم روح المكان. لكن في حالات معينة قد يكون الاستنساخ أنسب، كما في حالة البناء في موقع يتخلل صفًا متجانسًا من المباني المتشابهة. ويشجع أيضًا دليل مدينة Scarborough التصميمات الحديثة التي تعكس رؤية عصرية لعمارة المكان مفضلًا ذلك على الاستنساخ.

كذلك تتفق شروط أيرلندا الشمالية مع سابقاتها في عدم السماح بأي تنمية حديثة تؤثر سلبًا على السياق، وأن محاكاة المباني التاريخية ليس هو الهدف وإنما احترامها وتحسين سياقها. وبالتالي يمكن السماح بعمل تصميمات معاصرة بشرط أن تتكامل مع السياق. لكن في حالات خاصة كالبناء وسط صف من المباني التاريخية المتماثلة قد يتطلب التصميم مدخلًا أكثر حساسية وتحفظًا (DOENI, 1999). وتلخص الدراسة التي أجرتها مؤسستا (English Heritage & CABE, 2001) الرأي بقولها: إن جودة التصميم المستحدث هي المعيار الأساسي، فالمبنى الجديد قد يختلف في الطراز لكنه يظل ناجحًا باحترامه لجيرانه وإسهامه في إثراء المشاهد العمرانية باستلهامه الذكي من روح المكان مع تعبيره أيضًا عن روح العصر.

٨ نتائج استقراء أطروحات المنظّرين والباحثين ونصوص المواثيق والاشتراطات العالمية

يتضح مما سبق أن إشكالية التجانس والتمايز مع المحيط من أبرز المسائل الخلافية. ويمكن المقارنة بين الآراء المختلفة في (شكل ١)، والذي يتضح منه أن لكل مدخل مميزاته ومبرراته وكذلك تحفظاته ومحاذيره، الأمر الذي يعني أنه لا يمكن تغليب أحدهما على الآخر بشمل دائم. على أن تحقيق التوافق مع السياق يظل هو الهدف الأهم الذي ينبغي تحقيقه. والتوافق المقصود هنا أعم من التجانس، فهو يعني احترام الملامح الرئيسية للمحيط وليس بالضرورة التفاصيل. ويمكن تلخيص هذه المبادئ في صورة قاعدة عامة كما في (شكل ٢).

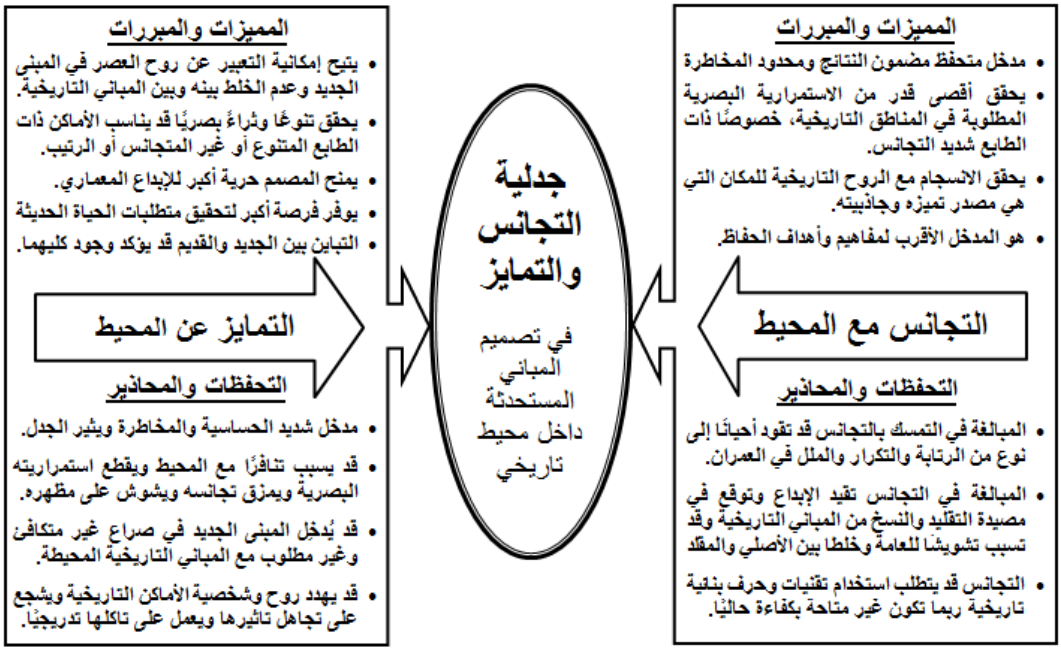

شكل (١) مقارنة تلخص الآراء المتعلقة بجدلية التجانس والتمايز في تصميم المباني المستحدثة داخل سياق تاريخي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القاعدة الأساسية العامة لتصميم المنشآت المستحدثة داخل محيط تاريخي

أن يراعي التصميم المستحدث خصائص المحيط التاريخي ويحترم روح المكان ويحافظ على مميزاته ويتوافق مع ملامحه العامة ويساهم في تدعيم قيمته وتحسين مظهره ولا يتجاهله أو ينتقص منه أو يسيء إليه أو يسبب تنافرًا بصريًا فيه أو يمزق طابعه أو يقطع استمرارية سماته الرئيسية أو يشوش على معالمه المميزة أو يدخل في منافسة غير متكافئة معها.

شكل (٢) القاعدة الأساسية العامة لتصميم المنشآت المستحدثة داخل محيط تاريخي (مستمدة من الأطروحات السابقة)
المصدر لشكل (١) وشكل (٢): الباحث

ولتحقيق تلك المبادئ لابد من تحليل خصائص السياق وعلاقة موقع البناء الجديد به. ويمكن تقسيم عملية التحليل إلى ثلاثة محاور هي: (الفراغات / والمباني / والمعالم المميزة) المحيطة بالموقع. ويتضمن (شكل ٣) عناصر التحليل لكل محور. والهدف هو تحديد عناصر التوافق مع السياق، والتي تمثل القيود التصميمية التي ينبغي احترامها، وكذلك تقدير هامش المرونة أو درجة الحرية المتاحة في التصميم. ويوضح (شكل ٤) أهم الاستراتيجيات التصميمية التي وردت في الأطروحات السابقة. على أن تلك الأطروحات لم توضح بقدر كافي متى يمكن استعمال كل استراتيجية؟ ومتى تكون ملائمة أو غير ملائمة؟ وما هي ملامح اللغة المعمارية لكل منها؟ وما هي الحدود المقبولة للتباين؟ وهل يمكن للتباين أن يكون متوافقًا مع السياق؟ وهل هناك استراتيجيات أخرى؟ وما هي العوامل التي تحدد هامش المرونة؟ وللإجابة على ذلك لابد من تحليل عدد من الأمثلة العالمية.

شكل (٣) محاور تحليل خصائص السياق المحيط بالموقع لتحديد عناصر التوافق وهامش المرونة المسموح

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

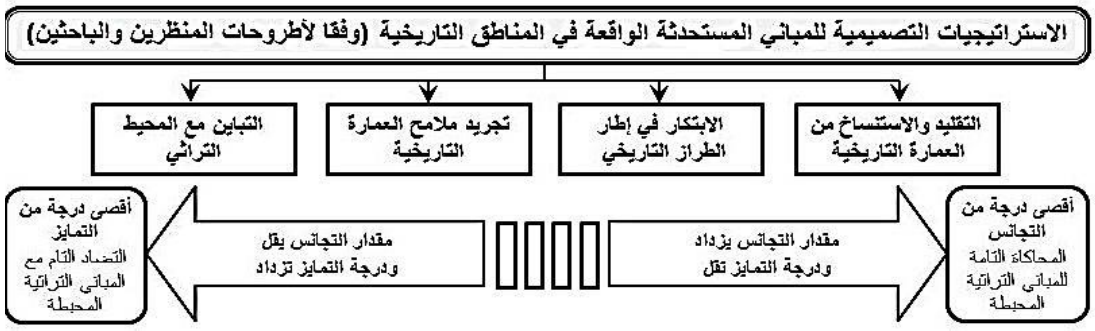

شكل (٤) استراتيجيات تصميم المباني الواقعة في مناطق تاريخية وتدرجها في التجانس التمايز (من واقع أطروحات الباحثين)
المصدر لشكل (٣) وشكل (٤): الباحث

٩ تحليل تجارب عالمية لمبانٍ مستحدثة داخل سياقات تاريخية مختلفة

تم اختيار الأمثلة من سياقات تاريخية مختلفة لتغطي حالات وأوضاعًا متنوعة. كما تم اختيار الأمثلة التي حظيت بموافقة الجهات المسئولة في أماكنها أو أشرف على تصميمها أو تحكيمها معماريون لهم مكانة متميزة محليًا أو عالميًا. وسيتم تقسيم المشروعات وفقًا لاستراتيجيتها التصميمية، ووصف كل منها بشكل عام وشرح مبررات فكرتها التصميمية ثم المقارنة بينها وفقًا لعدة عناصر هي: خصائص الموقع وسياقه المحيط، والاستراتيجية التصميمية المستخدمة، وعناصر توافق المبنى مع محيطه، وهامش المرونة أو درجة الحرية في تصميمه، والأيديولوجية المعمارية التي سيطرت عليه. والهدف من ذلك هو استقراء تعميمات أو مؤشرات أولية فيما بعد من خلال التحليل المقارن لمعرفة العوامل المختلفة التي يمكن أن تسهم في تحديد الاستراتيجية التصميمية المناسبة لكل سياق والحالات الملائمة لاستعمالها وضوابط تطبيقها.

٩/١ أمثلة على التقليد والاستنساخ من المحيط التراثي

يُلاحظ من دراسة الأحياء التاريخية الأوروبية أن الاستعارة من طرز الماضي والتجانس مع السياق كان هو الشائع قبل حقبة الحداثة. ومن أمثلة ذلك ما تم في ساحة Piazza Annunziata بفلورنسا والتي يتصدرها مبنى مستشفى اللقطاء Ospedale degli Innocenti الذي صممه Brunelleschi في عصر النهضة (شكل ٥، ٦). حيث تتميز واجهته بوجود رواق مُعمّد ذي عقود نصف دائرية. وقد تم على مدار القرنين التاليين إقامة مباني أخرى حول الساحة وتم توحيد واجهاتها بسلسلة مماثلة من الأروقة (Semes, 2007)، لأن هذه الحقبة كانت تتسم بسيطرة مبادئ الطراز الكلاسيكي على الفكر المعماري كالوحدة والتجانس والانتظام والمفردات اليونانية والرومانية واحترام أعمال رواد النهضة أمثال برونيلسكي.

شكل (٥، ٦) ساحة Piazza Annunziata بفلورنسا وقد تم توحيد واجهات مبانيها لتتجانس مع واجهة مستشفى اللقطاء
المصدر: (Travel Notes, 2020a)

أيضًا يُلاحظ في تلك الحقب أن المباني المتجاورة التي لها نفس الوظيفة تأخذ نفس الطابع. كما في المنازل التاريخية بمنطقتي Elfreth's Alley وSociety Hill بفيلاديلفيا (شكل ٧، ٨)، والتي تتسم بتجانس طابعها رغم بنائها في فترات مختلفة، مما دفع المصممين في العصر الحديث لتقليده عند تصميم المنازل الجديدة للحفاظ عليه (PAGP, 2007). وبالمثل مشروع Juniper House بمنطقة King's Lynn بإنجلترا (شكل ٩)، والذي تم فيه الاستعارة من المباني المجاورة للحفاظ على طابع المكان واحترام الكنيسة التاريخية المجاورة في الحجم والتفاصيل لعدم التشويش عليها (English Heritage & CABE, 2001). ومن المشروعات الحديثة التي سارت على نفس النهج تصميم مجموعة بيوت بقرية Corfe Castle التاريخية بإنجلترا، والتي تتميز بأكواخها التقليدية المتماثلة في الحجم والمفردات ومواد البناء، مما دفع المصمم لمحاكاتها عند تصميمه للبيوت الجديدة كيلا تلفت الأنظار وتفسد تجانس الطابع (شكل ١٠). وبرغم أن درجة المرونة في الاستنساخ محدودة، لكنها يمكن أن تزداد لو كانت المباني التراثية المجاورة ذات طرز مختلفة، كما في بعض الأحياء التاريخية الأوروبية التي تتضمن مبانٍ متنوعة لكنها متآلفة (شكل ١١). حيث يمكن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للمصمم حينئذٍ الاستعارة من بين عدد أكبر من الطرز فكلها ينتمي لنفس السياق. ويتضمن (جدول ١) مقارنة بين المشروعات التي تبنت هذه الاستراتيجية وفقًا للعناصر التي سبق ذكرها في مقدمة الدراسة التحليلية.

شكل (٧، ٨) طابع المنازل المتجاورة بمنطقتي Society Hill وElfreth's Alley
المصدر: (PAGP, 2007)

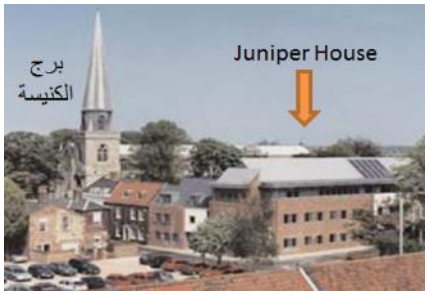

شكل (٩) مشروع Juniper House وخلفه الكنيسة
المصدر: (Eng. Heritage & CABE, 2001)

شكل (١٠) البيوت الجديدة في قرية Corfe Castle التاريخية
المصدر: (Eng. Heritage & CABE, 2001)

شكل (١١) منازل متنوعة الطرز والألوان لكن متناسقة في أمستردام
المصدر: (Travel Devotion, 2020)

جدول (١) مقارنة بين المشروعات التي تبنت استراتيجية التقليد والاستنساخ الحرفي (المصدر: الباحث)

اسم المشروع	رقم الشكل	خصائص الموقع وسياقه المحيط	الاستراتيجية التصميمية	عناصر التوافق مع المحيط	هامش المرونة	الأيديولوجية المسيطرة
المباني المحيطة بساحة Piazza Annunziata	٥، ٦	المباني تطل على ساحة عامة تحدها مباني تاريخية متجانسة من عصر النهضة	التقليد والاستنساخ الحرفي	التوافق على مستوى معظم سمات السياق التاريخي المحيط	محدود للغاية	المبادئ التقليدية المحافظة للعمارة الكلاسيكية
منازل في حي Society Hill, US	٧، ٨	الموقع وسط صفوف من المباني التراثية المتجانسة الطابع والوظيفة	التقليد والاستنساخ الحرفي	التوافق على مستوى معظم سمات السياق التاريخي المحيط	محدود للغاية	المبادئ التقليدية المحافظة لعمارة القرن ١٨، ١٩
Juniper House, Norfolk, UK	٩	يقع وسط مباني تراثية متلاصقة ومتجانسة الطابع وبجواره كنيسة تاريخية	التقليد والاستنساخ الحرفي	التوافق على مستوى معظم سمات السياق التاريخي المحيط	محدود للغاية	العمارة الإنجليزية التقليدية مع لمسات حديثة
أكواخ في قرية Corfe Castle, UK	١٠	الموقع وسط قرية تاريخية ذات أكواخ تقليدية متجانسة الطابع والوظيفة	التقليد والاستنساخ الحرفي	التوافق على مستوى معظم سمات السياق التاريخي المحيط	محدود للغاية	العمارة التقليدية للبيوت الريفية القديمة بإنجلترا

٩/٢ أمثلة على الابتكار في إطار الطراز التاريخي

الاستعارة في هذه الاستراتيجية ليست حرفية وإنما تتضمن تعديلات وتنويعات في إطار من التمسك بروح السياق. لذا فهي تتيح قدرًا أكبر من المرونة، وتسعى لتحقيق تجانس ممزوج ببعض التمايز. وقد لوحظ من الأمثلة أن التغييرات تتفاوت في مقدارها. فقد تكون مجرد تعديلات محدودة كما في المنزل الواقع أمام حديقة Three Bears Park بحي Society Hill التاريخي بفيلاديلفيا (شكل ١٢، ١٣)، والذي تم فيه الارتداد بجزء من المبنى للخلف لتمييز المدخل مع استعمال مفردات غير مستخدمة بالمباني المجاورة لكنها متلائمة معها لأنها تنتمي لنفس الطراز (PAGP, 2007). وبالمثل مشروع المجمع السكني The Bars في منطقة Chester التاريخية بإنجلترا (شكل ١٤، ١٥)، فبرغم أن المصمم استعار المفردات التقليدية من السياق إلا أنه صاغها بشكل أكثر هندسية وانتظامًا للإشارة إلى حداثة المشروع، كما تعمد زيادة اللون الأبيض بالجدران لتتباين مع الكنيسة التاريخية الواقعة أمامها وتؤكد عليها (English Heritage & CABE, 2001).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

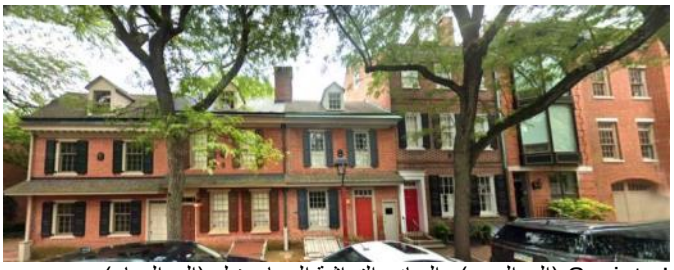

شكل (١٢، ١٣) منزل جديد بحي Society Hill (إلى اليمين) والمباني التراثية المجاورة له (إلى اليسار)
المصادر: (PAGP, 2007); Google Maps 3D

شكل (١٤، ١٥) مشروع The Bars (إلى اليمين) والمباني التراثية والكنيسة التاريخية المجاورة له (إلى اليسار)
المصادر: (English Heritage & CABE, 2001); Google Maps 3D

وقد تزداد التعديلات أكثر عند الرغبة في منح المبنى مظهرًا حديثًا دون التخلي عن الروح التاريخية، بمزج مفردات الماضي مع تقنيات الحاضر، كما في تصميمات Ricardo Bofill رائد ما بعد الحداثة لمباني حي Antigone بفرنسا (Yaari, 2008) ، والتي دمج فيها المفردات الكلاسيكية مع الزجاج بصورة تجمع بين التوافق مع المحيط التاريخي والتعبير عن الحداثة (شكل ١٦ إلى ١٨). ويتميز المشروع بوجود محور بصري كلاسيكي ممتد وضع بوفيل فندقًا عند نهايته على الضفة الأخرى للنهر (شكل ١٩)، وقام فيه بمزج المفردات الكلاسيكية مع المسطحات الزجاجية بشكل أعطاه مظهرًا مميزًا يتناسب مع موقعه على النهر كهدف بصري للمحور. أما في تصميمه للمجمع السكني Les Échelles du Baroque في باريس (شكل ٢٠)، فقد أخذت الواجهة الرئيسية شكلًا منحنيًا لاحترام شكل ميدان Place de Catalogne الدائري الشهير الذي يطل عليه (Ayers, 2004). واستخدم في الواجهات الخارجية أسلوب الاستنساخ المباشر للمفردات التاريخية حتى يتجانس مع السياق التراثي. أما في الواجهات الداخلية فقد تحرر أكثر، حيث أعاد صياغة الأعمدة الكلاسيكية التي تتكرر بطول الواجهة لتكون من الزجاج وليس الحجر (شكل ٢١).

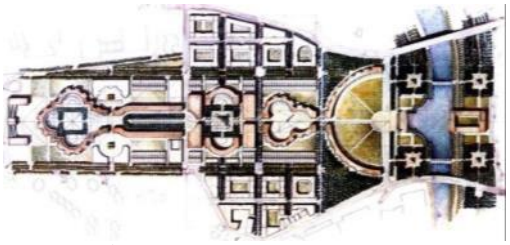

شكل (١٧) ساحة المدخل الرئيسية وبداية المحور في حي أنتيجون
شكل (١٦) مخطط حي Antigone في مونبلييه بفرنسا

شكل (١٩) الفندق المطل على النهر عند نهاية المحور البصري للحي
شكل (١٨) أحد المباني الواقعة على المحور بأنتيجون
المصدر: ("Antigone," 2012)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكل (٢٠) مشروع Les Échelles du Baroque من الخارج

شكل (٢١) الفناء الداخلي لمشروع Les Échelles du Baroque

المصدر: (Ricardo Bofill Taller de Arquitectura [RBTA], n.d.)

ومن الأمثلة المشابهة أيضًا مبنى No 1 Poultry بلندن من تصميم James Stirling رائد ما بعد الحداثة (Baker, 2011) (شكل ٢٢، ٢٣). وهو يقع على أرض مثلثة عند ناصية شارعين محاطًا بمبانٍ تراثية متجانسة استلهم منها المعماري بعض مفردات واجهاته، مثل نسبة المصمت للمفتوح وخطوط التقسيم الأفقية. لكنه حاول تمييز المبنى ليستفيد أكثر من إمكانات الموقع الذي يصلح كعلامة مميزة، فصاغ الكتلة عند الناصية على شكل أسطوانة يقع المدخل أسفلها. كما أضاف أسطوانة أخرى أكبر في قلب الكتلة يتوسطها فناء وتعلوها حديقة، مما خرج بشكل المبنى عن الإطار التقليدي. وقد راعى استخدام لون برتقالي لخطوط تقسيم الواجهات يتجانس مع اللون الأصفر للحوائط لكنه يتضاد مع اللون الأخضر للمسطحات الزجاجية ومع المباني المجاورة، مما جعل المبنى يجمع بين التجانس والتمايز ويمزج بين الماضي والحاضر.

شكل (٢٢، ٢٣) مبنى No 1 Poultry الإداري التجاري بلندن (إلى اليمين) وسياقه المحيط (إلى اليسار)

المصادر: Google Maps 3D: https://maps.google.com

مما سبق يُلاحظ أن استراتيجية الابتكار في إطار الطراز تشمل أساليب متفاوتة في درجة تحررها من قيود الطراز. لذلك يرى الباحث أنه يمكن تقسيمها إلى استراتيجيتين فرعيتين طبقًا لهامش المرونة: الأولى يمكن تسميتها "تقليد مع تغييرات" ويتم فيها الاستعارة من المحيط لكن مع تعديلات محدودة، والثانية أكثر تحررًا ويمكن تسميتها "مزج الحديث بالقديم" ويتم فيها إعادة صياغة العمارة التاريخية بأسلوب معاصر. ويتضمن جدول (٢) مقارنة بين المشروعات التي تبنت هاتين الاستراتيجيتين وفقا للعناصر سالفة الذكر.

جدول (٢) مقارنة بين المشروعات التي تبنت مدخل الابتكار في إطار الطراز باستراتيجيتيه الفرعيتين (المصدر: الباحث)

اسم المشروع	رقم الشكل	خصائص الموقع وسياقه المحيط	الاستراتيجية التصميمية	عناصر التوافق مع المحيط	هامش المرونة	الايديولوجية المسيطرة
Three Bears Park, Society Hill	١٢، ١٣	الموقع وسط صف من المنازل التراثية المتجانسة وأمامه حديقة	تقليد مع تغييرات	التوافق مع نسبة كبيرة من سمات السياق مع اختلافات	محدود	العمارة التراثية التقليدية مع لمسات حديثة
The Bars, Chester, UK	١٤، ١٥	الموقع يطل على شارع وفراغ خلف كنيسة تاريخية ومنازل تراثية	تقليد مع تغييرات	التوافق مع نسبة كبيرة من سمات السياق مع اختلافات	محدود	العمارة التراثية التقليدية مع لمسات حديثة
Antigone, Montpellier, France	١٦ إلى ١٨	مجاورة سكنية كبيرة وسط مدينة مونبلييه ذات الطابع التراثي المتنوع	مزج الحديث بالقديم	دمج بعض مفردات السياق التراثي بصياغات حديثة	متوسط	عمارة ما بعد الحداثة (المصمم أحد روادها)
فندق على نهر ليز بمونبلييه بفرنسا	١٩	الموقع يشرف على ساحة تطل على نهر ويقع في نهاية محور بصري قوي	مزج الحديث بالقديم	دمج بعض مفردات السياق التراثي بصياغات حديثة	متوسط	عمارة ما بعد الحداثة (المصمم أحد روادها)
Les Échelles du Baroque	٢٠، ٢١	الموقع يطل على ميدان دائري وسط منطقة تراثية متجانسة	مزج الحديث بالقديم	دمج بعض مفردات السياق التراثي بصياغات حديثة	متوسط	عمارة ما بعد الحداثة (المصمم أحد روادها)
No 1 Poultry, London, UK	٢٢، ٢٣	الموقع مثلث على ناصية شارعين ومحاط بمباني متنوعة من القرن ١٩	مزج الحديث بالقديم	دمج بعض مفردات السياق التراثي بصياغات حديثة	متوسط	عمارة ما بعد الحداثة (المصمم أحد روادها)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٩/٣ أمثلة على التجريد والتبسيط

تعتمد هذه الاستراتيجية على تبسيط العمارة التاريخية بدلًا من تقليدها، باحترام سماتها العامة فقط واختزال تفاصيلها. لذلك فهي أكثر تحررًا، لكنها لا تزال تراعي الاتساق مع المحيط. ومن الأمثلة المبكرة عليها مبنى Looshaus بفيينا (شكل ٢٤) من تصميم Adolf Loos أحد المنظرين الأوائل لعمارة الحداثة برفضه للزخارف وتجريمه لها وميله للبساطة والصراحة (Masheck, 2013). وهو ما ظهر في تصميمه للمبنى الذي جنح للتجريد والاختزال، مما منحه قدرًا من التمايز يتفق مع فكر المعماري وموقع المبنى المميز على ناصية شارعين. لكنه قام بصياغة الكتلة وتقسيمها إلى قاعدة وبدن وقمة ذات سقف مائل وجدران بيضاء كالمباني المجاورة، مع توزيع الفتحات وفقًا لإيقاع يتماشي مع السياق، مما جعل المبنى يتوافق مع محيطه.

ويرى (Semes, 2007) أن هذا هو أكثر أسلوب يتفق مع شروط وزارة الداخلية الأمريكية للبناء في المناطق التراثية. لذلك نجد أمثلة عديدة للتجريد هناك، مثل المبنيين الموضحين في (شكل ٢٥، ٢٦)، والذي تم فيهما توزيع الفتحات على نفس مناسيب فتحات المباني المجاورة وبنفس الأحجام ولكن بدون تفاصيل. وبالمثل مبنى Seamen's Church Institute بنيويورك (شكل ٢٧، ٢٨)، والذي تم فيه استخدام نفس مواد وألوان المباني المجاورة وتقسيمات واجهاتها ونسب وتوزيع فتحاتها مع تبسيطها (PAGP, 2007). وبرغم أن المبنى احتاج دورًا إضافيًا، إلا أنه ظل متسقًا مع المحيط من خلال الارتداد بالدور الزائد للخلف حتى لا يُرى من الشارع، مع تغيير لونه للأبيض حتى يظل الجزء البارز المتسق مع جيرانه هو الأوضح.

شكل (٢٤) مبنى Looshaus من تصميم Adolf Loos
المصدر: (Travel Notes, 2020b)

شكل (٢٥) مبنى عام في الحي التاريخي بفيلاديلفيا
المصدر: (PAGP, 2007)

شكل (٢٦) منزل في فيلاديلفيا

شكل (٢٧، ٢٨) مبنى Seamen's Church Institute (يمينًا) والمباني التراثية المجاورة له (يسارًا)
المصدر: (PAGP, 2007)

وبالمثل تصميم المبنى الواقع بمنطقة Swiss Cottage بلندن (شكل ٢٩، ٣٠)، فقد لجأ مصممه لتجريد مفرداته مراعيًا توافقه مع المباني التراثية المجاورة في الارتفاع ونسب الفتحات وتوزيعها. وبرغم اختياره للون مختلف لتمييزه إلا أن هذا لم يخل بالتوافق (English Heritage & CABE, 2001). وفي مبنى شركة JCDecaux في باريس (شكل ٣١) قام المصمم بعمل باكيات بارزة وغاطسة ومصمتة ومفتوحة بشكل تبادلي يتفق مع المحيط. لكنه أضفى بعض التمايز باستخدامه للمسطحات الزجاجية وتمييزه لركن المبنى بأسطوانة زجاجية تحتها المدخل لتأكيد موقع المبنى على ناصية. أما متجر Hanse-Viertel بهامبورج بألمانيا (شكل ٣٢) فقد أكد مصممه على الناصية بالطرح وليس بالإضافة، من خلال عمل جدار مقعر تعلوه قبة زجاجية للإشارة لحداثة المبنى. وتم اختزال التفاصيل والارتداد بالأدوار العلوية للخلف بشكل متدرج لتتماشى مع الأسقف المائلة للمباني المجاورة دون أن تقلدها. كما تم اختيار لون مختلف وصياغة الواجهة بشكل منحني لإضفاء قدر من التمايز لا يخل بالتوافق. وفي تصميم سفارة بريطانيا في برلين قام المعماري مايكل ويلفورد باحترام المباني التراثية المجاورة على مستوى الحجم واللون والتقسيمات ونسب الفتحات، لكن دون استنساخ للتفاصيل (Jencks, 2011). كما قام بطرح جزء من قلب الكتلة لتظهر منه كتل صغيرة ذات أشكال وألوان متميزة تلفت النظر للمبنى وتؤكد على حداثته (شكل ٣٣، ٣٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

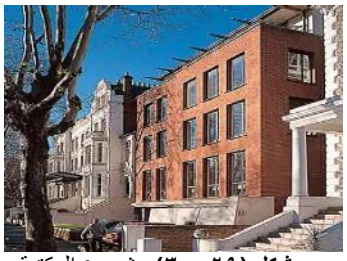

شكل (٢٩، ٣٠) مشروع المكتبة والمبنى الإداري التابعين لمدرسة الخطابة والدراما بمنطقة Swiss Cottage بلندن
المصدر: (English Heritage & CABE, 2001; Google Maps, 2020)

شكل (٣١) مبنى JCDecaux في باريس لريكاردو بوفيل
المصدر: ("J.C. Decaux," 2012)

شكل (٣٢) مركز Hanse-Viertel التجاري بهامبورج بألمانيا
المصدر: (Europe Real Estate, 2018)

شكل (٣٣، ٣٤) مبنى سفارة بريطانيا في برلين من تصميم مايكل ويلفورد
المصدر: (Lomholt, 2020)

وقد يبلغ التجريد درجة عالية من الاختزال والتبسيط، كما حدث في متحف الأكروبوليس بأثينا (شكل ٣٥) من تصميم Bernard Tschumi رائد عمارة الحداثة المتطورة، والذي اكتفى باستعارة شكل الكتلة المستطيلة لمعبد البارثينون الشهير في كتلة مبناه الجديد، مراعيًا أن يكون لها نفس النسب وزاوية الانحراف، ولكن بلون داكن غير ملحوظ، وبصياغة حديثة، وبدون الالتفات إلى أي مفردات كلاسيكية. فظهر المبنى بطابع عصري لكنه في نفس الوقت يحترم الأثر العظيم المواجه له. فلم يتجاهله ولم يقلده ولم يحاول أن يطغى عليه أو يلفت الأنظار عنه، لأن هذه المنافسة خاسرة حتمًا. فقط حاول أن يتفاعل معه ويؤكد على مكانه ومكانته من خلال استلهام شكله المستطيل ووضعيته المائلة. وقد يتم تجريد تفاصيل المبنى الجديد بدون أي استعارة من المباني التاريخية. كما حدث في مطعم Left Bank Village بمنطقة Hereford بإنجلترا، والذي يقع على النهر بجوار كنيسة تاريخية (English Heritage & CABE, 2001). فلأن المطعم يظهر مع الكنيسة في مشهد بانورامي واحد، ولأن وظيفة المطعم لا تُقارن بقيمة ومكانة الكنيسة الأثرية، لذلك جاء التصميم في غاية البساطة والتواضع. فالكتلة محدودة الارتفاع ولا تحوي تفاصيل كثيرة حتى لا تلفت الأنظار عن الكنيسة أو تشوش عليها، كما تم عمل تدرج فيها ناحية الكنيسة للتأكيد على أهميتها (شكل ٣٦).

شكل (٣٥) متحف الأكروبوليس أمام معبد البارثينون بأثينا
المصدر: (Acropolis Museum, n.d.)

شكل (٣٦) مطعم Left Bank Village والكنيسة على اليمين
المصدر: (English Heritage & CABE, 2001)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن التجارب الهامة أيضًا المسابقة العالمية لتصميم المتحف المصري الكبير بجوار أهرامات الجيزة (Mansour et al., 2003). إذ يلاحظ أن أغلب المشروعات التي تم ترشيحها للتنافس في المرحلة الثانية اختارت أن تتواضع أمام الأهرامات احترامًا لعظمتها. فلم يحاول أي منها أن يتجرأ ويستعرض نفسه أمامها. فإلى جانب أن الاستعراض سيضر بقيمة المكان فإنه أيضًا لن يصب في مصلحة المبنى الجديد، لأنه سيُعتبر حينئذٍ متعديًا على موقع أثري فريد. كما لم يحاول أي مشروع أن يقلد شكل الأهرامات بصورة مباشرة، لأن هذا النسخ سيبدو ساذجًا أو ممسوخًا أو مباشرًا أكثر من اللازم ولا يليق أن يوضع بجوار الأصل. لذلك جاء التصميم المقدم من Coop Himmelblau والفائز بالجائزة الثانية (شكل ٣٧) بكتلة محدودة الارتفاع يتماشى سطحها العلوي مع الهضبة الموجودة بالموقع وكأنه امتداد لها تم نحته واستعداله هندسيًا ليأخذ شكل مشابه لمصاطب قدماء المصريين. وأعلى هذه المصطبة مسطح بيضاوي من الزجاج يوفر إضاءة علوية للقاعات ويأخذ شكل عين الماء وكأن المتحف واحة في الصحراء. وقد تبنت مقترحات أخرى مداخل مقاربة لذلك، مثل مشروع Hector Gani الذي غطاه جزئيًا بطبقات من رمال الصحراء (شكل ٣٨). ومشروع Michael Zimmermann الذي يحاكي شكل الخطوط الكنتورية للمناطق الجبلية (شكل ٣٩). والغرض من هذه المحاولات كلها التماهي مع البيئة الصحراوية والتواضع والتضاؤل أمام اللأهرامات وعدم منافستها.

ويبلغ هذا التواضع ذروته في المشروع الفائز بالجائزة الثالثة والمقدم من Renato Rizzo (شكل ٤٠)، والذي استوحى شكله من المساقط الأفقية للمعابد المصرية لكنه حفره في الصخر لأسفل بدلًا من أن يبرز به لأعلى، وكأنه يريد الاختفاء تمامًا وليس فقط التواضع. وبالمثل مشروع Ruben Verdi (شكل ٤١) ومشروع Rocha de Aires Mateus (شكل ٤٢) اللذان صمما المتحف على شكل أنفاق محفورة. أما المشروع الفائز بالجائزة الأولى والمقدم من Heneghan & Peng (شكل ٤٣)، فقد تم فيه صياغة الكتلة بحيث تشير نحو الأهرامات الثلاثة وتؤكد عليها من خلال ثلاثة محاور بصرية تنتهي عندها. والمحور الأوسط هو مسار الحركة الرئيسي داخل المتحف، وهو مصمم على شكل سلم عريض يتجه صاعدًا لأعلى وعلى يمينه ويساره وفي وسطه المعروضات لينتهي بمشهد بانورامي فريد للأهرامات. وهي فكرة مستوحاة من محاور المعابد المصرية القديمة، وكذلك من الممر الصاعد الذي كان يربط قديمًا بين معبد الوادي والمعبد الجنائزي لكل هرم. كذلك جاءت الكتلة بارتفاع محدود للتأكيد على فكرة التواضع، لكنه مصحوب هذه المرة بقدر من التمايز، من خلال استعمال المسطحات الزجاجية والأشكال الحادة للسقف والكتلة. كما زُينت الواجهة بتشكيلات من خطوط متقاطعة تنتج مثلثات في إشارة غير مباشرة للشكل الهرمي (شكل ٤٤).

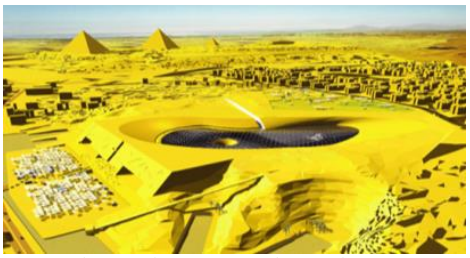

شكل (٣٧) الجائزة الثانية بمسابقة المتحف المصري

شكل (٣٨) مقترح Hector Gani في مسابقة المتحف

شكل (٣٩) مُقترح Michael Zimmermann في المسابقة

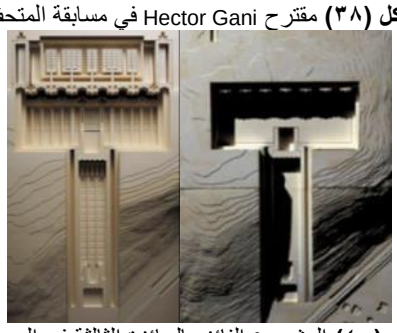

شكل (٤٠) المشروع الفائز بالجائزة الثالثة في المسابقة

شكل (٤١) مقترح Ruben Verdi المحفور في سطح الأرض

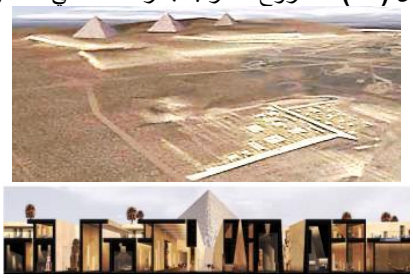

شكل (٤٢) مقترح Rocha de Aires Mateus للمتحف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكل (٤٣، ٤٤) مشروع المتحف المصري الكبير الفائز بالجائزة الأولى بعد التنفيذ
المصادر: (Mansour et al., 2003); (Ball, 2019)

مما سبق يمكن استنتاج أن استراتيجية التجريد لها عدة أساليب تتفاوت في طريقة صياغتها والهدف من استعمالها. ويمكن تقسيمها إلى ثلاث استراتيجيات فرعية: الأولى هي تبسيط مفردات المباني التاريخية، والثانية هي الالتفات والتوجه التشكيلي ناحية معلم تاريخي هام، والثالثة هي التواضع والتضاؤل أمامه. ويتضمن جدول (٣) مقارنة بين المشروعات التي تبنت استراتيجيات التجريد وفقًا للعناصر سالفة الذكر.

جدول (٣) مقارنة بين المشروعات التي تبنت مدخل التجريد باستراتيجياته الفرعية الثلاثة (المصدر: الباحث)

اسم المشروع	رقم الشكل	خصائص الموقع وسياقه المحيط	الاستراتيجية التصميمية	عناصر التوافق مع المحيط	هامش المرونة	الايديولوجية المسيطرة
مبنى Looshaus في فيينا	٢٤	الموقع على ناصية وأمامه ساحة ومحاط بمباني تراثية بسيطة	تجريد المفردات التاريخية	التوافق مع السمات الرئيسية للسياق مع اختزال التفاصيل	متوسط	مبادئ الحداثة المبكرة (المعماري من روادها)
مبنى عام في الحي التاريخي لفيلاديلفيا	٢٥	الموقع وسط صف من المباني التراثية المتجانسة والبسيطة	تجريد المفردات التاريخية	التوافق مع السمات الرئيسية للسياق مع اختزال التفاصيل	متوسط	مبادئ عمارة ما بعد الحداثة
منزل في الحي التاريخي لفيلاديلفيا	٢٦	صف من المباني التراثية المتجانسة بسيطة التفاصيل	تجريد المفردات التاريخية	التوافق مع سمات السياق الرئيسية مع التجريد وتغيير اللون	متوسط	مبادئ الحداثة مع مراعاة التوافق مع الجوار
Seamen's Church Institute	٢٧، ٢٨	صف من المباني التراثية المتجانسة البسيطة أمامها فراغ واسع	تجريد المفردات التاريخية	التوافق مع السمات الرئيسية للسياق مع اختزال التفاصيل	متوسط	مبادئ الحداثة مع مراعاة التوافق مع الجوار
مكتبة ومبنى إداري بمنطقة Swiss Cottage	٢٩، ٣٠	صف من المباني التراثية المتجانسة بسيطة التفاصيل وأمامها فراغ واسع	تجريد المفردات التاريخية	التوافق مع سمات السياق الرئيسية مع الاختزال وتغيير اللون	متوسط	مبادئ الحداثة مع مراعاة التوافق مع الجوار
مقر شركة JCDecaux في باريس	٣١	الموقع على ناصية بجوارا مباني متجانسة وبسيطة التفاصيل	تجريد المفردات التاريخية	التوافق مع السمات الرئيسية مع التبسيط وإضافة عناصر حديثة	متوسط	عمارة ما بعد الحداثة (المصمم أحد روادها)
مركز Hanse-Viertel التجاري	٣٢	الموقع على ناصية شارعين تطل عليهما مباني تراثية متجانسة	تجريد المفردات التاريخية	التوافق مع السمات الرئيسية مع التبسيط وإضافة عناصر حديثة	متوسط	مبادئ عمارة ما بعد الحداثة
سفارة بريطانيا في برلين	٣٣، ٣٤	الموقع وسط صف من المباني التراثية المتجانسة والبسيطة	تجريد المفردات التاريخية	التوافق مع السمات الرئيسية مع التبسيط وإضافة عناصر حديثة	متوسط	عمارة ما بعد الحداثة (المصمم أحد روادها)
متحف الأكروبوليس في أثينا	٣٥	الموقع على مسافة من معبد البارثينون الأثري ومرئي من الأكروبوليس	التوجه نحو معلم تاريخي	استلهام ملامح محدودة من الأثر ومزجها بصياغات حديثة	أعلى من المتوسط	عمارة الحداثة المتطورة (المصمم أحد روادها)
المتحف المصري الكبير (الجائزة الأولى)	٤٣، ٤٤	الموقع في مكان خالي يطل من مسافة على أهرامات الجيزة	التوجه نحو معلم تاريخي	استلهام ملامح محدودة من الأثر مع التأكيد عليه وإضافة صياغات حديثة	أعلى من المتوسط	مبادئ الحداثة المتطورة مع مراعاة التوافق مع المحيط
المتحف المصري الكبير (الجائزة الثانية)	٣٧	الموقع في مكان خالي يطل من مسافة على أهرامات الجيزة	التواضع أمام معلم تاريخي	استلهام ملامح من العمارة المصرية والصحراء مع تبسيط وصياغات حديثة	أعلى من المتوسط	مبادئ عمارة ما بعد الحداثة والتوافق مع المحيط
المتحف المصري الكبير (الجائزة الثالثة)	٤٠	الموقع في مكان خالي يطل من مسافة على أهرامات الجيزة	التواضع أمام معلم تاريخي	استلهام ملامح من العمارة المصرية مع الاختفاء أمام الأثر بالنزول لأسفل	أعلى من المتوسط	مبادئ عمارة ما بعد الحداثة والتوافق مع المحيط
المتحف المصري الكبير Hector Gani	٣٨	الموقع في مكان خالي يطل من مسافة على أهرامات الجيزة	التواضع أمام معلم تاريخي	احترام الأثر بالبساطة والاختفاء تحت الرمال	أعلى من المتوسط	مبادئ ما بعد الحداثة والتوافق مع المحيط
المتحف المصري Michael Zimmermann	٣٩	الموقع في مكان خالي يطل من مسافة على أهرامات الجيزة	التواضع أمام معلم تاريخي	التشبه فقط بخطوط الكنتور للصحراء مع صياغات حديثة	أعلى من المتوسط	مبادئ ما بعد الحداثة والتوافق مع المحيط

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اسم المشروع	رقم الشكل	خصائص الموقع وسياقه المحيط	الاستراتيجية التصميمية	عناصر التوافق مع المحيط	هامش المرونة	الايديولوجية المسيطرة
المتحف المصري الكبير Ruben Verdi	٤١	الموقع في مكان خالي يطل من مسافة على أهرامات الجيزة	التواضع أمام معلم تاريخي	التشبه بأحجار الصحراء واحترام الأثر بالاختفاء	أعلى من المتوسط	مبادئ ما بعد الحداثة والتوافق مع المحيط
المتحف المصري Rocha de Aires	٤٢	الموقع في مكان خالي يطل من مسافة على أهرامات الجيزة	التواضع أمام معلم تاريخي	احترام الأثر بالاختفاء أمامه وحفر المشروع لأسفل	أعلى من المتوسط	مبادئ ما بعد الحداثة والتوافق مع المحيط
مطعم Left Bank Village	٣٦	الموقع وسط مباني تقليدية بسيطة ويطل على النهر وبجواره كنيسة تاريخية	التواضع أمام معلم تاريخي	احترام الكنيسة بالارتفاع المحدود وبساطة الكتلة وتدرجها نحوها	أعلى من المتوسط	مبادئ ما بعد الحداثة والتوافق مع المحيط

٩/٤ أمثلة على التباين

التباين هو أكثر المداخل تعرضًا للنقد لما قد يسببه من تنافر بصري. ومع ذلك توجد أمثلة عالمية كثيرة على استعماله، تتفاوت في أساليبها وشدتها ومبرراتها ومدى مقبوليتها. ومن ضمن تلك المبررات اختلاف ظروف واحتياجات الحياة العصرية عن مثيلتها في الماضي، مما يفرض اختلافًا في سمات المبنى الجديد عن المباني التاريخية. ويحدث ذلك عند الرغبة مثلًا في تحقيق أقصى استغلال ممكن للمواقع الخالية بالمناطق القديمة المزدحمة، فيتم إقامة مبانٍ عالية وبأشكال حديثة تلائم وظائفها وزمانها. وترفض اشتراطات البناء ذلك عادةً في المناطق التراثية المتجانسة، لكنها قد لا تمنعه في الأماكن التي تعرضت لتدخلات حديثة عديدة بحيث أصبحت لا تحوي سوى مبانٍ تراثية متناثرة. حينئذٍ يمكن استعمال استراتيجية التباين لتأكيد وجود تلك المباني التراثية عن طريق تصميم المباني الجديدة بواجهات مسطحة بسيطة بحيث تشكل خلفية للمبنى التراثي تتباين معه وتؤكد عليه، أو يتم تغطيتها بمسطحات زجاجية تعكس لون السماء وتتماهى معها فيقل بذلك إحساس تباينها، أو تعكس صورة المبنى التراثي فتضفي عليه مزيدًا من التأكيد (شكل ٤٥ إلى ٤٨).

الأشكال (٤٥) إلى (٤٨) المباني الجديدة بواجهات زجاجية لتعمل كخلفية للمبنى التراثي تتماهى مع لون السماء وقد تعكس صورته
المصدر: https://www.featurepics.com/online/Historic-Stone-Glass-Office-Building-Perspective-839261.aspx

ومن أمثلة التباين أيضًا مبنى Massachusetts College of Art and Design في بوسطن بالولايات المتحدة (MassArt, n.d.) (شكل ٤٩، ٥٠). فالمبنى الجديد يقع وسط مبنيين أحدهما تراثي متوسط الحجم والآخر حديث ضخم. لذلك جاء التصميم محاولًا التوفيق بينهما، من خلال استعارة نفس حجم وارتفاع ونسب وتقسيمات المبنى التراثي، مع صياغته بمواد عصرية كالزجاج والألومنيوم مثل المبنى الخلفي الضخم وبدرجة تجريد عالية. وكأنه يقوم بدور الوسيط الذي يعالج الخلل الموجود بالموقع والمتمثل في تجاهل المبنى الضخم للمبنى التراثي، فيسعى لتخفيف التنافر ومنح المبنى التراثي قدرًا أكبر من الاحترام.

شكل (٤٩، ٥٠) مبنى Massachusetts College of Art and Design and Media Center في بوسطن
المصدر: (MassArt, n.d.; Google Maps, 2020)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد يفيد التباين في كسر رتابة النمط السائد بالمكان وإضفاء لمسة جديدة عليه، كما حدث عند تصميم متجر Retail Scheme في شارع Davygate بإنجلترا (شكل ٥١). فبرغم أن الشارع يحوي مبانٍ تراثية إلا أن الجهات المسئولة على غير عادتها وافقت على رؤية المعماري في إحداث قدر من التمايز عن المحيط في تصميمه للمبنى الجديد، وذلك لإضفاء لمسة عصرية تحتاجها وظيفة المبنى التجاري ومنح الشارع قدرًا من الحيوية والتنوع، ولكنها اشترطت ألا يتسبب ذلك في إحداث تنافر بصري. لذلك جاء التصميم متوافقًا مع محيطه على مستوى الحجم والارتفاع واللون والنسب والتقسيمات الأفقية، لكنه تمايز في الطراز والتقسيمات الرأسية ومواد البناء، من خلال عمل معالجة تبادلية بين الباكيات المصمتة والزجاجية بصورة عبرت عن الحداثة دون أن تخل بالتناسق البصري للسياق (English Heritage & CABE, 2001).

وقد يرجع السبب في تفضيل بعض المعماريين للتباين إلى الأيديولوجية المعاصرة التي يتبنونها والتي تؤمن بالتعددية وضرورة أن يعبر المبنى عن زمنه وقناعات وإبداعات مصممه وأن يبتعد عن تقليد الماضي. ويجدون تأييدًا من الكثيرين الذين يرون أن ابداعاتهم لا تقل أهمية عن إبداعات أسلافهم. لكنهم أيضًا يواجهون اعتراضات عديدة ترى أن المناطق التاريخية تستلزم معاملة خاصة أكثر تحفظًا. ومن أبرزهم فرانك جيري رائد التفكيكية الذي قام بتصميم مبنى فريد في أحد الأحياء التراثية بمدينة براغ بالتشيك، اشتهر باسم المبنى الراقص لغرابته وديناميكيته (شكل ٥٢). وقد ثار حوله جدل واسع لاختلافه عن الطابع التراثي للمنطقة (Gehry et al., 2003). إلا أنه ما لبث أن نال شهرة عالمية وفاز بجوائز بعد ذلك. فموقع المبنى الفريد على النهر بالقرب من أحد الجسور وارتباطه بوقائع تاريخية هامة وشهرة مصممه وتطورات العصر أوجد ما يكفي من المبررات لتبني هذا التوجه من وجهة نظر المؤيدين. فالموقع كان يشغله مبنى تعرض للتفجير في القصف الأمريكي لبراغ إبان الحرب العالمية الثانية، وظلت بقاياه في مكانها كذكرى حتى أزيلت بعد مدة. لهذا جاء المبنى منقسمًا لجزئين: الأول المطل على الجسر والساحة يتميز بديناميكيته وانحناءاته الحادة وكأنه يستعيد ذكرى التفجيرات، بينما الآخر الملاصق للمباني التراثية أكثر انتظامًا وتوافقًا معها على مستوى الارتفاع والمواد والفتحات. وهذا الاختلاف يرمز وفقًا للمعماري لتحول تشيكوسلوفاكيا من النظام الشيوعي إلى الديموقراطي الرأسمالي عقب انهيار الاتحاد السوفييتي ("Dancing House," 2019).

شكل (٥١) متجر Retail Scheme, Davygate
المصدر: (English Heritage & CABE, 2001)

شكل (٥٢) المبنى الراقص في براغ بالتشيك من تصميم فرانك جيري
المصدر: (Prague Inspiration, 2019)

ومن الأمثلة التي أثارت الجدل أيضًا متحف Carré d'Art لرائد التكنولوجيا الفائقة نورمان فوستر، والذي يقع أمام معبد Maison Carrée الروماني وتفصل بينهما ساحة (شكل ٥٣، ٥٤). وبرغم تباين التصميم مع السياق، إلا أنه فاز في المسابقة الخاصة بالمتحف وتم تنفيذه برغم الاعتراضات. وبعد افتتاحه بدأ المبنى ينال الرضا لنجاحه في إحياء المنطقة التي كادت سابقًا أن تدخل في طي الإهمال (Loew, 1998). وبرغم تباين المبنى ظاهريًا إلا أنه لم يطغَ على المعبد أو يشوش عليه بل حاول أن يحترمه ويتوجه ناحيته دون أن يلغي شخصيته. وبرغم أن المبنى مكون من تسعة أدوار، إلا أن المصمم وضع نصفها تحت الأرض حتى يظل المبنى منخفضًا ولا يتجاوز ارتفاع المعبد. أما الكتلة نفسها فشديدة التجريد، تسيطر عليها الخطوط المستقيمة واللون الأبيض، ويتقدم مدخلها أعمدة تحمل سقفًا تأثرًا بشكل المعبد ولكن بصياغات ومواد حديثة. وقد أدى استعمال الزجاج والأعمدة الرفيعة واللون الأبيض لجعل كتلة المبنى تبدو خفيفة مقارنة بالمعبد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكل (٥٣، ٥٤) متحف Carré d'Art للفنون المعاصرة من تصميم نورمان فوستر أمام معبد Maison Carrée الروماني
المصدر: (Foster and Partners, n.d.)

كذلك من المباني التي ثار حولها الخلاف مشروع Investcorp Building بكلية سان أطوني بجامعة أكسفورد في بريطانيا، من تصميم زها حديد رائدة التفكيكية (شكل ٥٥، ٥٦). وهو عبارة عن جسر يربط بين مبنيين تراثيين تابعين للكلية ويحوي داخله وظائف ثقافية. وقد جاء تصميمه انسيابيًا لامعًا في تباين واضح مع المحيط. لكن الذي دعم فكرته هو وظيفة المبنى كامتداد لمركز دراسات الشرق الأوسط، لذلك جاء على شكل جسر يرمز لتواصل الحضارات. كما أن وجود مساحات واسعة تغطيها الأشجار الكثيفة حوله شجع على اختيار هذا الشكل الانسيابي ليتناغم مع الطبيعة. وقد ساهم لونه الداكن ومناظر المباني المنعكسة عليه والأشجار التي تكتنفه في تخفيف حدة تباينه. لذلك برغم إثارة المبنى للنقد عند بنائه (Heffer, 2010)، إلا أنه فاز بجائزة أفضل مبنى للتعليم العالي والبحوث في مهرجان العمارة العالمي (WAF, 2016).

شكل (٥٥، ٥٦) مشروع The Investcorp Building بكلية سان أطوني بجامعة أكسفورد في بريطانيا، من تصميم زها حديد
المصدر: (Zaha Hadid Architects, 2015)

وإذا كانت الأمثلة السابقة قد حظيت بقدر من القبول برغم الجدل، فذلك لأنها حققت إضافة قيّمة للسياق، وكانت مدعّمة بمبررات فلسفية ووظيفية وعمرانية مقبولة بالنسبة لمتخذي القرار ولقطاع معتبر من المجتمع، إلى جانب حرص مصمميها على التجاوب والتفاعل مع المحيط برغم هذا التباين. أما عندما يفتقد المبنى هذه المبررات ويتجاهل سياقه ويشوهه فإنه يصبح حينئذٍ مرفوضًا، كما في المباني الموضحة في الأشكال من (٥٥ إلى ٥٨)، والتي يلاحظ تجاهلها للطابع السائد وتمزيقها له بسبب شذوذها عنه وارتفاعها غير المقبول عما حولها. لذلك ينبغي تعديل مسمى هذه الاستراتيجية ليصبح "التباين المتوافق" للتأكيد على أن التباين المقصود لا يعني تجاهل السياق. ومن واقع ما سبق يمكن تقسيم هذه الاستراتيجية إلى اتجاهين: الأول يتم فيه تصميم المبنى الجديد كخلفية للمبنى التراثي تتباين معه وتؤكد عليه، والثاني يهدف لعمل تحاور وتفاعل بين إبداعات الحاضر والماضي من خلال التباين المتوافق بينهما، لكسر الرتابة وإضفاء الحيوية على المكان. ويتضمن جدول (٤) مقارنة بين المشروعات التي تبنت التباين المتوافق باستراتيجيتيه الفرعيتين.

شكل (٥٧ إلى ٦٠) أمثلة لبعض المباني التي تجاهلت سياقها التاريخية في ولاية فلوريدا الأمريكية
المصدر: (PAGP, 2007)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جدول (٤) مقارنة بين المشروعات التي تبنت مدخل التباين المتوافق باستراتيجيتيه الفرعيتين (المصدر: الباحث)

اسم المشروع	رقم الشكل	خصائص الموقع وسياقه المحيط	الاستراتيجية التصميمية	عناصر التوافق مع المحيط	هامش المرونة	الايديولوجية المسيطرة
مباني حديثة بواجهات زجاجية	٤٥ إلى ٤٨	الموقع في مناطق بها تدخلات حديثة كثيرة وفيها مباني تراثية قليلة	تباين متوافق (خلفية للمبنى التراثي)	عناصر التوافق محدودة والواجهات مسطحة وعاكسة	عالي	مبادئ الحداثة والحداثة المتطورة
Mass. College of Art & Design	٤٩، ٥٠	الموقع بمنطقة متنوعة فيها مزيج من المباني التراثية والحديثة	تباين متوافق (تحاور الحاضر مع الماضي)	التوافق مع الملامح الرئيسية بتبسيط شديد وصياغات عصرية	عالي	مبادئ الحداثة والحداثة المتطورة
Retail Scheme, Davygate, UK	٥١	الموقع بمنطقة بها مباني تراثية متنوعة الطرز والقيمة	تباين متوافق (تحاور الحاضر مع الماضي)	التوافق مع ملامح رئيسية مع صياغات عصرية	عالي	مبادئ الحداثة والحداثة المتطورة
The Dancing House, Prague	٥٢	الموقع على ناصية صف من المباني التراثية ويطل على نهر وجسر وساحة واسعة	تباين متوافق (تحاور الحاضر مع الماضي)	التوافق مع بعض الملامح مع صياغات عصرية مبتكرة	عالي	مبادئ العمارة التفكيكية (المعماري أحد روادها)
متحف Carré d'Art في فرنسا	٥٣، ٥٤	الموقع وسط مباني تراثية وأمام معبد روماني أثري ويفصله عنه ساحة واسعة	تباين متوافق (تحاور الحاضر مع الماضي)	التوافق مع ملامح قليلة وارتفاع محدود أمام الأثر وصياغات عصرية بسيطة	عالي	مبادئ الحداثة المتطورة (المعماري أحد روادها)
The Investcorp Building, Oxford, UK	٥٥، ٥٦	الموقع وسط حرم به مباني من العصر الفكتوري بينها فراغات واسعة وأشجار كثيفة	تباين متوافق (تحاور الحاضر مع الماضي)	عناصر التوافق قليلة والكتلة محدودة الحجم ومتباينة وعاكسة وداكنة	عالي	مبادئ العمارة التفكيكية (المعمارية أحد روادها)

١٠ نتائج الدراسة التحليلية في ضوء نتائج الدراسة النظرية

يمكن استخلاص عدد من النتائج من دراسة التجارب العالمية ومقارنتها بنتائج الشق النظري كما يلي:

١٠/١ الاستراتيجيات التصميمية للمباني المستحدثة الواقعة داخل مناطق تاريخية

أكد تحليل التجارب العالمية ما سبق الإشارة إليه في الفرضية وفي نتائج الجزء النظري من أن تحقيق التوافق بين المنشأ الجديد وسياقه التاريخي لا يعني بالضرورة الاستعارة من مفردات المباني التاريخية المجاورة، وإنما هناك حلول أخرى ومداخل متنوعة لكل منها مبرراته. ويوضح (شكل ٦١) الاستراتيجيات التصميمية المقترحة من قِبَل الباحث، والتي تم استخلاصها من تحليل الأمثلة العالمية. وهي تنقسم إلى ثماني استراتيجيات تتفرع من ثلاث توجّهات رئيسية. وهي تتدرج في مستويات تجانسها أو تمايزها عن المحيط، وتتفاوت في الحالات الملائمة لاستعمالها. وهي تمثل تطويرًا على أطروحة (Semes, 2007).

شكل (٦١) الاستراتيجيات المقترحة من قِبَل الباحث لتصميم المباني المستحدثة في المناطق التاريخية (المصدر: الباحث)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠/٢ القاعدة الأساسية لتحقيق التوافق مع السياق التاريخي

اتضح من تحليل الأمثلة أهمية المخطط المقترح في نهاية الجزء النظري لتحليل السياق على مستوى فراغاته ومبانيه ومعالمه المميزة (شكل ٣). فبدون هذا التحليل لا يمكن اختيار الاستراتيجية المناسبة للمبنى الجديد ولا تحقيق التوافق مع السياق. على أن تأمل المداخل المختلفة التي تبنتها الأمثلة يؤكد أن تحليل العناصر التفصيلية لكل محور لا يعني بالضرورة التقيد بها جميعًا، لأن هذا سينتج نسخًا مكررة من المباني التاريخية، وهو إجراء ليس دائمًا ملائمًا كما تبين. وإنما الغرض هو تعيين الحد الأدنى للتوافق؛ أي الملامح العامة والسمات الرئيسية التي ينبغي عدم التنازل عنها لتحقيق التوافق، والتي يؤدي تجاهلها إلى إحداث تنافر وتمزق للطابع، لذلك تم تسميتها "عناصر تحقيق التوافق". معنى هذا أن تحليل الأمثلة أثبت على المستوى العملي صلاحية القاعدة الأساسية للتصميم المستحدث داخل سياق تاريخي والتي تم وضعها في نهاية الشق النظري (شكل ٢). فالصياغة التي اقترحها الباحث لم تتقيد بطراز محدد أو تفرض استراتيجية بعينها. وإنما ركزت على المبادئ العامة التي تضمن تحقيق الحد الأدنى من التوافق بمفهومه الأشمل Compatibility.

١٠/٣ مناقشة نتائج التحليل المقارن للتجارب العالمية

من التحليل المقارن للمشروعات (جداول ١، ٢، ٣، ٤) وكذلك من واقع النتائج النظرية يمكن استخلاص عدد من التعميمات والمؤشرات الأولية فيما يتعلق بالتصميم المستحدث داخل سياق تاريخي كما يلي:

١٠/٣/١ عناصر التوافق مع السياق المحيط:

- يكشف التحليل المقارن أن "مقدار" عناصر التوافق المطلوبة لتناسق المبنى الجديد مع محيطه ليس ثابتًا، وإنما يختلف من سياق لآخر. فالأماكن التي مبانيها أكثر تجانسًا وقيمة وثراءًا في التفاصيل أو أكثر تلاصقًا مع موقع المبنى الجديد تفرض عادةً عناصر للتوافق أكثر من الأماكن ذات المباني الأقل تجانسًا وقيمة وثراءًا أو الأكثر تنوعًا وتعرضًا لتدخلات حديثة أو الأكثر تباعدًا بينها وبين الموقع. وهو ما تم الإشارة إليه في الفرضية. وسبب ذلك أن الملامح المشتركة والصفات السائدة في الحالة الأولى أكثر وأقوى من أن يتم تجاهلها، واحتمالية الخلل والتنافر البصري الناتج عن التحرر منها أكبر. بينما في الحالة الثانية السمات المشتركة أقل لتنوع السياق وتباعد المباني، لذلك يمكن لعناصر التوافق أن تتراجع للحد الأدنى، حيث يمكن الاكتفاء فقط باحترام الملامح الرئيسية لتحقيق التوافق.
- يتضح من المقارنة أن "نوعية" عناصر التوافق أيضًا تختلف من سياق لآخر. فوجود الموقع بجوار مبنى ذي قيمة أثرية هامة يفرض نوعية من عناصر التوافق تختلف عن وجوده وسط صف من المباني التراثية من القرن ١٩ مثلًا. فقد يكون الأنسب للمباني الأثرية الفريدة التواضع أمامها أو الاختفاء. بينما في الحالة الثانية الأنسب هو التناسق معها في الارتفاع وإيقاع التقسيمات وتوزيع الفتحات والألوان والمواد. وهذه العناصر بدورها يختلف مضمونها حسب خصائص طابع كل منطقة.
- يبيّن التحليل المقارن أن عناصر التوافق ليست متماثلة في تأثيرها، فهناك عناصر أكثر تأثيرًا من غيرها. فحجم المبنى الجديد وارتفاعه مثلًا من أقوى العوامل تأثيرًا على التوافق. فحتى لو تشابهت الطرز والمفردات والألوان والمواد فسيظل التفاوت الواضح في ارتفاع المبنى عن سياقه عائقًا أمام تحقيق التوافق، كما في الأمثلة شكل (٥٧ إلى ٦٠). بينما قد تختلف التفاصيل والألوان ويظل المبنى منسجمًا مع جواره لتوافقه معها في الحجم والارتفاع، كما في الأمثلة شكل (٢٦، ٢٩، ٣٠، ٣٣، ٣٤). ويأتي بعد الحجم والارتفاع في قوة التأثير التقسيمات الأفقية والرأسية ونسبة المصمت للمفتوح والألوان والمواد. وهذه العناصر بدورها يختلف تأثيرها من مكان لآخر حسب درجة تكراريتها.

١٠/٣/٢ هامش المرونة والحرية في التصميم

- من واقع الدراسة النظرية والتحليلية هناك عدة عوامل تؤثر على هامش المرونة في التصميم وهي: خصائص السياق وعناصر التوافق المطلوبة مع فراغاته ومبانيه ومعالمه المميزة، والمواثيق والاتفاقيات الدولية، والاشتراطات والقوانين المحلية، ومتطلبات المالك، ووظيفة المشروع، وأيديولوجية المعماري وإمكاناته (شكل ٦٢).
- يكشف التحليل المقارن أن هامش المرونة يتناسب عكسيًا مع عناصر التوافق المطلوبة. أي كلما زادت عناصر التوافق وقوة تأثيرها كلما قل هامش المرونة وزادت القيود التصميمية، وكلما قلت درجة تجانس المباني التاريخية كلما زادت حرية المصمم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكل (٦٢) العوامل المؤثرة على هامش المرونة
المصدر: الباحث

- يبين التحليل أيضًا أن هامش المرونة يتناسب عكسيًا مع درجة ندرة وتفرد المنطقة أو المعلم التاريخي. فكلما كانت المنطقة أو المعلم أكثر تفردًا على مستوى المدينة أو الدولة أو أقدم، كلما زادت القيود وقل هامش الحرية. كما لوحظ في حالة المناطق الأثرية القديمة مقارنةً بالمناطق التراثية الأحدث. وكما لوحظ في منطقة Society Hill بالولايات المتحدة مقارنةً بمثيلاتها في أوروبا. فبرغم أن مبانيها تعود لقرون قريبة، إلا أن القيود المفروضة عليها كبيرة لقلة المناطق التراثية بأمريكا مقارنة بأوروبا الأقدم والأكثر عددًا وتنوعًا من حيث المناطق التراثية، مما قد يشجع على تجريب استراتيجيات أكثر جرأة.
- يتأثر هامش المرونة كذلك بموقع المبنى نفسه وعلاقته بالفراغات المحيطة. فوجود المبنى على ناصية شارعين مهمين أو عند نهاية محور بصري أو أمام ساحة قد يشجع على منح المبنى قدر من التمايز للتأكيد عليه وتحويله لعلامة مميزة. فتمتع الموقع بتعريض بصري عالي يحفز على التعامل معه بشكل أكثر مرونة. كما في مشروع No 1 Poultry (شكل ٢٢)، ومركز Hanse-Viertel (شكل ٣٢)، والمبنى الراقص (شكل ٥٢)، وفندق نهر ليز (شكل ١٩)، ومتحف Carré d'Art (شكل ٥٣).
- هناك ارتباط ملحوظ بين مكانة المعماري وشهرته وبين مساحة الحرية المتاحة له. إذ لوحظ من التحليل المقارن أن الاستراتيجيات الأكثر مرونة وجرأة أقدم على استعمالها في الغالب معماريون لهم شهرة ومكانة، حيث أثرت توجهاتهم المعمارية على تصميماتهم، وحملت مبانيهم البصمة المميزة لأعمالهم. وربما كان لمكانتهم وشهرتهم دور أيضًا في تقبل الجهات المسئولة لمحاولاتهم لكسر القيود.

٣/٣/١٠ التوجهات المثيرة للجدل والنقد

- اتضح من التحليل أن التباين هو أكثر الاستراتيجيات إثارة للجدل والنقد، لأن فيه مجازفة ومخاطرة بالروح التاريخية للمكان. كما أنه لا ضرورة ملحة تفرض استخدامه دائمًا، بخلاف الاستراتيجيات الأخرى الأكثر مقبولية. ومع ذلك فلا يمكن حظر استعماله تمامًا، لأن محاولات التباين المدروسة جيدًا والمتوافقة مع محيطها قد تكون مطلوبة في بعض الحالات لما تطرحه من أفكار مختلفة وحلول غير تقليدية تبث روحًا جديدة في المناطق الراكدة والخاملة والمهملة، وتستكشف أبعادًا جديدة تصب في صالح الإبداع المعماري، بشرط عدم الانتقاص من قيمة المكان وألا يكون التباين هو التوجه السائد.
- يأتي بعد التباين في إثارته للنقد - ولكن بدرجة أقل بكثير - استراتيجية تقع على طرف النقيض منه وهي الاستنساخ الحرفي. حيث يُنظر إليها على أنها تفتقر للإبداع لأنها تقتصر على تقليد المباني المجاورة، مما قد يسبب خلطًا بين القديم والجديد وتشويشًا على الأصلي بالمستنسخ. على أنها لا تشكل تهديدًا خطيرًا على روح المكان ولا تثير نفس جدل التباين، لأنها تحافظ على تجانس الطابع.
- إذا كانت الاستراتيجيات الطرفية (كالتباين والتقليد الحرفي) هي الأكثر إثارة للنقد، فإن الاستراتيجيات الوسطية (كالتقليد مع تغييرات ومزج القديم بالحديث وتجريد الملامح التاريخية) تعتبر بصفة عامة هي الأكثر ملاءمة ومقبولية واتفاقًا مع الضوابط العالمية، لأنها استراتيجيات متوازنة تجمع بين التوافق مع الطابع التاريخي للمكان وبين اللمسة العصرية التي تشير لحداثة البناء، لذلك فهي تناسب حالات كثيرة.

٤/٣/١٠ الحالات الملائمة لاستعمال الاستراتيجيات التصميمية وضوابط تطبيقها

- يمكن من واقع الدراسة النظرية والتحليل المقارن وضع مؤشرات مبدئية للحالات الملائمة لاستعمال كل استراتيجية وضوابط تطبيقها (جدول ٥). مع الوضع في الاعتبار أنه يمكن الجمع بين أكثر من استراتيجية في التصميم الواحد طالما أنها متناسقة معًا وملائمة للسياق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جدول (٥) الحالات الملائمة لاستعمال الاستراتيجيات التصميمية وضوابط تطبيق كل منها (المصدر: الباحث)

الاستراتيجية التصميمية	الحالات الملائمة لاستعمالها	ضوابط تطبيقها
التقليد والاستنساخ الحرفي	تناسب أكثر المواقع التي تتوسط صفوف المباني التراثية شديدة التقارب والتجانس والتشابه على مستوى الطابع والوظيفة، خصوصًا إذا كانت مساحة الموقع صغيرة.	الاهتمام بدقة وجودة التصميم والتنفيذ لتجنب عمل نسخ مبتذلة أو رديئة تسيء للأصل وتفسد الطابع. مع ضرورة الإشارة لحداثة المبنى بوسيلة ما (لافتة عند المدخل مثلًا).
تقليد مع تغييرات	تتناسب أكثر مع المناطق الأقل تجانسًا (توجد بين مبانيها اختلافات وفراغات) أو المواقع التي لها سمات مختلفة عن جوارها (أمامها فراغ أوسع / تقع على ناصية / غير مرئية بوضوح مع المباني التراثية).	تحقيق التوافق مع السياق على مستوى أغلب السمات المعمارية، مع إمكانية عمل تغييرات محدودة في بعضها.
مزج القديم بالحديث	تصلح لحالات كثيرة، خصوصًا المناطق التي تعرضت لتدخلات حديثة أو مبانيها متنوعة الطرز ومتباعدة، أو المواقع التي لها تعريض بصري قوي (على ناصية شارعين مهمين / عند نهاية محور بصري / أمامها ساحة) أو المباني ذات الوظائف الهامة.	أن يشكل المبنى الجديدة إضافة لقيمة ومميزات المنطقة، مع مراعاة التوازن في مزج المفردات التاريخية بالحديثة حتى لا يتحول المبنى إلى التباين بدون قصد، واحترام المفردات التاريخية وعدم تشويهها عند إعادة صياغتها بشكل معاصر.
تجريد المفردات التاريخية	تصلح لحالات كثيرة، خصوصًا المناطق المتجانسة التي تتسم تفاصيلها بالبساطة أو تتضمن مزيجًا من المباني التراثية والحديثة.	مراعاة عدم المبالغة في تجريد وتبسيط التفاصيل التي لا يتحول المبنى إلى التباين بدون قصد أو دراسة كافية.
التواضع أمام مبنى تاريخي	تصلح أكثر للمواقع القريبة من المباني الأثرية الهامة والمعالم التاريخية المتفردة، خصوصًا التي تحيط بها فراغات واسعة ولا توجد حولها مباني واضحة.	مراعاة بساطة التكوين والتفاصيل ومحدودية الارتفاع أو الاختفاء تحت الأرض حتى لا يلفت المبنى الجديد الأنظار عن المعلم التاريخي أو يشوش عليه.
الالتفات والتوجه ناحية مبنى تاريخي	تصلح أكثر للمواقع القريبة من المباني الأثرية الهامة والمعالم التاريخية المتفردة، خصوصًا التي تحيط بها فراغات واسعة.	تأكيد مكان ومكانة المعلم التاريخي بالتوجه ناحيته والإشارة إليه على مستوى التشكيل والتكوين. مع مراعاة البساطة ومحدودية الارتفاع لعدم لفت الأنظار عنه.
التباين المتوافق (خلفية لمبنى تراثي)	تصلح أكثر للمناطق التي تعرضت لتدخلات حديثة كثيرة ولم يعد باقيًا بها إلا عدد محدود من المباني التراثية التي تحتاج للتأكيد وسط مباني أخرى حديثة ومرتفعة.	معالجة واجهات المباني الجديدة أو إعادة تصميم واجهات المباني القائمة بحيث تبدو بسيطة ومسطحة أو زجاجية عاكسة لتشكل خلفية تتباين مع المبنى التراثي وتؤكد عليه.
التباين المتوافق (تحاور إبداعات الحاضر مع الماضي)	تصلح أكثر للمناطق التي تحوي مزيجًا من الطرز التراثية والحديثة أو المناطق التي تتسم بالرتابة أو الركود الشديد وتحتاج للتنشيط والإحياء.	أن يكون للتصميم الجديد مبررات مقنعة وأن يحقق إضافة لقيمة ومميزات المكان ويتفاعل معه، مع ضرورة مراجعته مع الجهات المعنية، وألا يكون التباين هو السائد.

١٠/٤ المنهجية المقترحة للتصميم المستحدث بالمناطق التراثية

يمكن في ضوء المناقشات السابقة اقتراح منهجية متكاملة للتصميم داخل سياق تاريخي (شكل ٦٣).

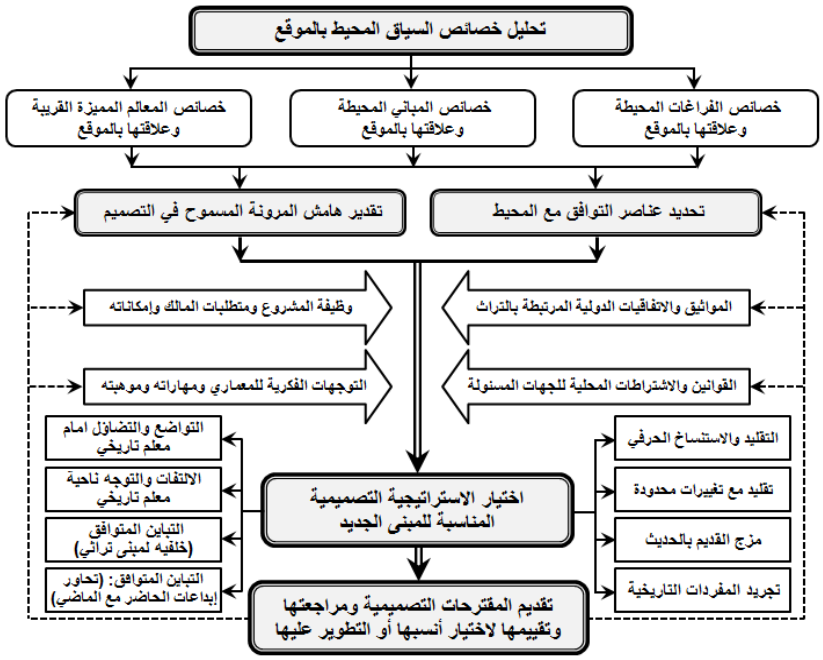

شكل (٦٣) المنهجية المقترحة للتصميم المستحدث داخل سياق تاريخي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١١ الخلاصة والتوصيات

تناول هذا البحث قضية البناء المستحدث داخل السياق التاريخي عن طريق تحليل آراء الباحثين والمواثيق والاشتراطات الدولية والتجارب العالمية المتعلقة بالموضوع. وقد خلصت الدراسة لعدد من النتائج، أبرزها ما تم استخلاصه من مناقشة الآراء المتباينة حول التجانس والتمايز مع السياق، من خلال تحديد مميزات وعيوب كل توجه منهما، ثم صياغة القاعدة الأساسية للتصميم في تلك المناطق، واقتراح منهجية لهذا الغرض تضمن توافق المبنى الجديد مع محيطه. وقد طرح الباحث تصنيفًا جديدًا للاستراتيجيات التصميمية التي يمكن استخدامها في تلك المناطق، وحاول أن يستنتج مؤشرات أولية للحالات الملائمة لاستعمال كل منها، وضوابطها وشروط تطبيقها. ويوصي الباحث بالاسترشاد بتلك النتائج في صياغة وتطوير الاشتراطات والضوابط المحلية للمناطق التراثية بمصر، وفي تصميم وتقييم المباني المستحدثة التي تُقام فيها. لكن الباحث لا ينصح بالتعنت التام في تطبيق الشروط والتعميمات، بل يرى ضرورة التحلي بقدر من الحكمة والمرونة وسعة الأفق عند تطبيقها، والنظر للهدف الأسمى منها وهو الحفاظ على المناطق التراثية وتحسينها ودعم قيمتها. كذلك يرى الباحث أن المسئولية الأكبر في نجاح التصميم الجديد تقع على عاتق المصمم نفسه. فقد يلتزم معماري ما بكافة الشروط المطلوبة لكن ينتج في النهاية مبنى عاديًا لا يضيف شيئًا للمكان، لأن الشروط لا تضمن وحدها عملًا مميزًا. بينما قد يتحرر معماري آخر من بعض القيود الفرعية بشكل مدروس وبعد مناقشات كافية مع الجهات المسئولة فيبدع عملًا معماريًا عالي القيمة، ويطرح حلولًا خارج الصندوق يحقق بها التوافق المطلوب ويحافظ على روح المكان ويضيف في نفس الوقت إلى قيمته. المهم ألا يخرج التصميم عن إطار الاحترام للسياق التاريخي، وألا يتم اتخاذ قرارات تخص المناطق التراثية بشكل فردي، وإنما لابد أن تُراجع مع الجهات المعنية.

References

المراجع العربية

بشندى، سعاد. (١٩٨٤). *الطابع البصري للمناطق العمرانية*. (رسالة ماجستير). كلية الهندسة. جامعة القاهرة.

Bashandy, S. (1984). *The visual character of urban areas.* Master Thesis, Faculty of Engineering.Cairo University.

مسوح، عماد. (٢٠١٦). التصميم المستحدث في المناطق ذات القيمة التراثية. *مجلة جامعة البعث*، ٣٨ (١٦)، ٧٩–١٣٤.

Massouh, I. (2016). Constructional Design in Sites of Cultural Value. *Magazine of Albaath University, 38*(16), 79-134.

الشربيني، محمد. (٢٠١٨). التنمية في مواجهة التراث: إشكالية التعارض الذي قد ينشأ بين متطلبات مشروعات التنمية وواجبات الحفاظ على التراث المعماري. *مجلة العلوم الهندسية*، ٤٦ (٦)، ٧٩٧–٨١٩.

Al-Sherbiny, M. (2018). Development versus heritage: the conflict problem that may emerge between the requirements of development projects and the duties of preserving the architectural heritage. *Journal of Engineering Science, faculty of Engineering. Assiut University, 46*(6), 797-819.

المراجع الأجنبية

Acropolis Museum. (n.d.). Museum History. Retrieved December 12, 2019 from: https://www.theacropolismuseum.gr/en/content/museum-history

Antigone. (2012). In *Archilovers*. Retrieved February 5, 2020 from: https://www.archilovers.com/projects/70291/antigone.html

Australia ICOMOS. (2013). *Burra Charter: Australia ICOMOS Charter for Places of Cultural Significance*. Burra: Australia ICOMOS.

Ayers, A. (2004). *The Architecture of Paris: An Architectural Guide*. London: Axel Menges.

Baker, G. (2011). *The Architecture of James Stirling and His Partners James Gowan & Michael Wilford: A Study of Architectural Creativity in the 20th Century*. England: Ashgate.

Ball, J. (2019). Heneghan Peng to design largest archeological museum in Egypt. *Middle East Architect*. Retrieved February 11, 2020 from: https://www.middleeastarchitect.com/44155-heneghan-peng-to-design-largest-archeological-museum-in-egypt

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Brolin, B. (1980). *Architecture in context: Fitting New Buildings with Old*. New York: Van Nostrand Reinhold.
Couch, C. (1990). *Urban Renewal: Theory and Practice*. London: Macmillan Education Ltd.
Cullen, G. (1971). *The Concise Townscape*. London: Van Nostrand Reinhold Company.
Daglioglu, E., K. (2015). The Context Debate: An Archaeology. *Architectural Theory Review, 20*(2), 266-279.
Dancing House. (2019). In *Wikipedia*. Retrieved November 13, 2019 from: https://en.wikipedia.org/wiki/Dancing_House
DOENI [Department of the Environment of Northern Ireland]. (1999). *Planning Policy Statement 6: Planning, Archaeology and the Built Heritage*. Belfast: Author.
English Heritage & CABE. (2001). *Building in Context: New Development in Historic Areas*. London: Westerham Press Ltd.
Europe Real Estate. (2018). CBRE GI acquires Hanseviertel building in Hamburg (DE). Retrieved January 16, 2020 from: http://europe-re.com/cbre-gi-acquires-hanseviertel-building-in-hamburg-de/65583
Foster and Partners. (n.d.). Carré d'Art. Retrieved February 17, 2020 from: https://www.fosterandpartners.com/news/videos/carre-d-art/
Gehry,F. et al. (2003). *Dancing Building*. Prague : Zlaty Rez.
Heffer, S. (2010). Architects should please the public, not spite them. *Telegraph*. Retrieved December 15, 2019, from: https://www.telegraph.co.uk/comment/columnists/simonheffer/7230861/Architects-should-please-the-public-not-spite-them.html
ICOMOS. (1972). *Resolutions of the Symposium on the introduction of contemporary architecture into ancient groups of buildings*. Budapest: 3rd ICOMOS General Assembly.
ICOMOS. (1987). *Washington Charter for the Conservation of Historic Towns and Urban Areas*. Washington: ICOMOS.
Zaha Hadid Architects. (2015). Investcorp Building. Retrieved january 5, 2020 from: https://www.zaha-hadid.com/architecture/middle-east-centre-st-antonys-college/
J.C. Decaux. (2012). In *Archilovers*. Retrieved February 10, 2020 from: https://www.archilovers.com/projects/69950/j-c-decaux.html#images
Jencks, C. (1988). *Architecture Today*. New York: Harry N Abrams Inc.
Jencks, C. (2011). *The Story of Post-Modernism: Five Decades of the Ironic, Iconic and Critical in Architecture*. UK: John Wiley and Sons.
Loew, S. (1998). *Modern Architecture in Historic Cities: Policy, Planning, and Building in Contemporary France*. London: Routledge.
Lomholt, I. (2020). British Embassy Berlin: Architecture Information. *E-architect*. Retrieved February 12, 2020 from: https://www.e-architect.co.uk/berlin/british-embassy-berlin
Mansour, Y. et al. (2003). T*he Grand Museum of Egypt: International Architecture Competition*. Vols. 1-2. Cairo: The Egyptian Ministry of Culture.
Masheck, J. (2013). *Adolf Loos: The Art of Architecture*. London: I. B.Tauris
MassArt [Massachusetts College of Art and Design]. (n.d.). *Design and Media Center*. Retrieved November 10, 2019, from: https://massart.edu/facilities/dmc
Oc, T., Heath, T. & Tiesdell, S. (2010). Design in Historic Urban Quarters. *Rivista di Scienze del Turismo, 1*(2). 51-74.
PAGP [Preservation Alliance for Greater Philadelphia]. (2007). *Sense of Place: Design Guidelines for New Construction in Historic Districts*. Philadelphia: Author.
Prague Inspiration. (2019). Prague Architecture. Retrieved February 4, 2020 from: https://www.guide-prague.cz/eng/tour/ten-centuries-architecture-gui/
Ricardo Bofill Taller de Arquitectura [RBTA]. (n.d.). Les Échelles du Baroque. Retrieved February 10, 2020 from: https://ricardobofill.com/projects/les-echelles-du-baroque/
Scarborough Borough Council. (n.d.). *Listed busilding design guidance*. Retrieved August 21, 2019, from: https://www.scarborough.gov.uk/home/planning/further-guidance/design-guidance-listed-buildings
Semes, S. (2007). Differentiated and Compatible: Four Strategies for Additions in Historic Settings. *Journal of National Trust for Historic Preservation Forum*.
Travel Devotion. (2020). Amsterdam, The Netherlands. Retrieved January 20, 2020, from: https://www.traveldevotion.com/2020/01/amsterdam-the-netherlands.html

www.manaraa.com

Travel Notes. (2020a). Piazza Della Santissima Annunziata. Retrieved January 20, 2020, from: http://ttnotes.com/piazza-della-santissima-annunziata.html#

Travel Notes. (2020b). Looshaus, Austria. Retrieved January 21, 2020, from: http://ttnotes.com/looshaus.html

UK Planning (Listed Buildings and Conservation Areas) Act. (1990). Retrieved July 29, 2019, from: http://www.legislation.gov.uk/ukpga/1990/9/contents

UNESCO. (1976). *Recommendation concerning the Safeguarding and Contemporary Role of Historic Areas*. Nairobi: The UNESCO's 19th General Conference.

Westminster City Council. (1996). *Supplementary Planning Guidance: Development & Demolition in Conservation Areas*. Westminster: Dept. of Planning & City Development

WAF [World Architecture Festival]. (2016). *2016 Category Winners*. Retrieved December 18, 2019, from: https://www.worldarchitecturefestival.com/2016-category-winners

Worskett, R. (1970). *The Character of Towns*. London: Architectural Press.

Yaari, M. (2008). *Rethinking the French City: Architecture, Dwelling, and Display after 1968*. Amsterdam: Rodopi B. V.

www.manaraa.com